

الجواهر المعجزة

ففضائل جارية



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الجواهر المعجزة

ففضائل جليل

تأليف
أحمد بن محمد بن أحمد الحضاروي المكي الشافعي
ت ١٣٢٧ هـ

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة

المنيا والإمام بالرياض

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
جميع الحقوق محفوظة للنشر

٢٠٠٢/٧٧٠٦	رقم الإبداع
977-341-065-x	I. S. B. N الترقيم الدولي



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش. بوسعيد - الطاهر - القاهرة

٥٩٢٢٦٢٠ - ٥٩٣٦٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

لا نعرف عن بداية الكتابات عن جُدة سوى ما ورد في كتب البلدان والرحلات .
ومن أوائل من كتب عن جُدة الفاكهي - من علماء القرن الثالث الهجري - فقد وردت
لديه شذرات عن جدة، تحت عنوان «ذكر جدة والتحفظ بها وبما فيها وأنها خزانة مكة» .
وكذلك ما ورد لدى البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ، في معجم ما استعجم .
وكذلك ما ورد لدى ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ، في رحلته .
ولدى ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦هـ في معجمه، وكلها شذرات أوردها كل منهم عند
موضعها في ترتيب المادة التي تناولوها، أو الأخبار التي ساقوها عن جدة .
كذلك كتب الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ عن فضل المراقبة بسجدة، وعن أول من
جعل جدة ساحلاً لمكة .
كذلك لا نعرف عن بدايات التأليف في تاريخ جدة - وخاصة المؤلفات التي أفردت
للحديث عن تاريخ جدة - سوى مؤلف لقاضى القضاة بالحرمين الشريفين نجم الدين
محمد بن يعقوب المالكي المتوفى سنة ٧٩٠هـ، وهو «تنسم الزهر المأنوس عن ثغر جدة
المحروس» .
وكذلك مؤلف عن جدة وأحوالها لجار الله بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ .
ثم تتابعت الكتابات في تاريخ جدة فكتب ابن فرج المتوفى سنة ١٠١٠هـ، رسالة عن
جدة هي «كتاب السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة» .
كما كتب جمال بن عمر المكي المتوفى سنة ١٢٨٤هـ كتاباً عن جدة بعنوان «الفرج
بعد الشدة في تاريخ جدة» .
كذلك كتب الحضراوى المتوفى سنة ١٣٢٧هـ في تاريخ جدة، وله عنها كتابان :

أحدهما في «المفاضلة بينها وبين الطائف» والثاني «الجواهر المعدة في فضائل جدة وتاريخها» وهو الكتاب الذي نقدم له اليوم.

وقد اتخذ الحضراوي من رسالتي ابن فهد، وابن فرج مصدراً عوّل عليه، كما أفاد كذلك من ابن ظهيرة المكي المتوفى سنة ٩٤٠هـ في تاريخه عن جدة.

المؤلف ونسبة الكتاب إليه^(١):

هو: أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي، ولد في الإسكندرية سنة ١٢٥٢هـ، ثم انتقل مع والده إلى مكة، وعمره سبع سنين، فنشأ بها وتأدب وفقهه، وألف مؤلفات في الدين وفي التاريخ وفي فضائل مكة والمدينة والطائف وجدة، وقد توفي سنة ١٣٢٧هـ.

وقد حوت رسالته هذه جل ما يتعلق بتاريخ جدة، فهي أوفى ما كتب في الموضوع، ومع احتوائها على أخبار لا تثبت أمام النقد إلا أن للحضراوي بعض الآراء الجيدة التي منها ملاحظته على الحكاية الخرافية التي ذكرها ابن المجاور في تاريخه عن انتقال أهل مدينة جدة من الفرس، وأن سبب ذلك غلط أحدهم بإرسال الضريبة المقررة لحاكم مكة، وهي حمل من حديد في كل عام، فأرسل بدل حمل الحديد حملاً من ذهب، مما دفع ذلك الحاكم إلى أن يتعنّت في طلب الضريبة في العام التالي مماثلة لضريبة العام الذي قبله، فكانت تعنته سبباً لانتقال التجار، وهي خرافة ما زال يرددها كل من كتب عن تاريخ هذه المدينة حتى في عصرنا.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن ابن المجاور مع كونه مجهولاً، فإن في كتابه خرافات كثيرة تجعله غير جدير بأن يعتمد فيما يفرد بذكره، ولعله هو أول من ذكر تلك الخرافة.

ورغم ما أورده الحضراوي في رسالته من اعتقاده بتأثير الأولياء والصالحين، ورغم ما فيها من بعض أشياء يدرك كل قارئ عدم صحتها فإن الغاية من نشرها إيجاد مصدر جديد لتاريخ جدة.

(١) اعتمدت في كتاباتي هنا في إيراد بعض فقرات مما كتبه الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب ج ٥، ٦، السنة ١٣ - ١٣٩٨هـ.

هذا، وعنوان الرسالة كما ورد فى النسخة التى وصلت إلينا «الجواهر المعدلة فى فضائل جدة»^(١).

ومثل هذه التسمية لدى الزركلى فى الاعلام^(٢).

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخته المخطوطة فى خزانة شستريتى ورقمها ٣٧٢٢.

وكذلك إلى النسخة التى نشرت فى مجلة العرب سنة ١٣٩٨ هـ.

كما رجعت إلى ما تيسر الحصول عليه من المصادر التى ذكرها، وما اقتضاه الأمر من الرجوع إلى الكتب الأخرى مما له صلة بموضوع الكتاب.

القاهرة فى أغسطس سنة ٢٠٠١ م

د. على عمر

(١) انظر ص ١١ من كتابنا هذا.

(٢) الاعلام ج ١ ص ٢٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد المالك المالك وشكر الجري الفلكي لثالث البارز
 احمد الواعد مبيد القرون الذي اذا اراد شيئا قال
 له كن فكونك والقلة والسلام على سيد الانام
 صاحب الجود والموهبة والمقام المحمود سيدنا محمد وماله
 ومعهم كل ما ذكره المذكره وغناه عن ذكر المنافوت
 الى يومنا المشهود وهو فيقول الرب عز وجل المساءة
 ابنه احمد للضاري الحكيم الذي احب الله سائرهم ونور
 بسائرهم مع العفو والرحمة والرحمة والمغفرة وجميع
 المسلمين امين كما كان يدر عينه من المأثر المشهورة
 والمقام المحمود كما لا حصر لها في المعاصد المعظم والمجاهد
 الجسمي وتكونها للبلد الامين كالاسر من الجسد في دهره
 وبابيه المعه ولا يكون من الدخول الى الدار الام بالنا كما قال
صلى الله عليه وسلم واشهد البيوت من ابوابها في البلدة الزكية
 اول جزيرة الفرق والاعزول منها تطلب المعارف والقرب
 احبب انما وفضلها وذكر ثلثيها الا في كنت اطاعت
 على تاريخ العلوم الفاخر التي غير القادة ومن اخرج محمد بن
 فرج ان احدى خطيب جده تلميذ الخافض جده البيت المتوفي
 يوم السبت سابع شهر رمضان سنة عشر بعد الف بمحمد
 المسمى بالسراج والعدد في فضل ثلثي جده ووجهه تاريخه
 مزادة كم يعرف بالمتعود ولا سيما ما حدث بعد ولادة من
 صباها وللمستود احببت انما وفضلها في هذه
 الورديات

الصفحة الاولى من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمالك الملك، وشكرًا لمُجْرى الفلك، الخالق البارئ الصمد الواحد، مُبِيد القرون، الذى إذا أراد شيئًا قال له: كُنْ فيكون، والصَّلَاة والسلام على سيد الأنام، صاحب الجِد والجود، والمقام المحمود، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وكُلِّ ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، إلى يومنا المشهود.

وبعد، فيقول الراجى غفران المساوى، أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوى المكى الهاشمى، أصلح الله سرائرهم ونور بصائرهم مع العفو والرضوان، والرحمة والغفران ولجميع المسلمين، آمين: لما كان بَنَدْرُ جِدَّة من المآثر المشهودة، والمعالم المحموده، لاحتوائها على المعاهد العظيمة، والمشاهد الجسيمة، ولكونها للبلد الأمين كالرأس من الجسد، فهى دَمْلِيْزُهُ وبابه المَعْدُّ، ولا يكون من الدخول إلى الدار إلا من الباب، كما قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (سورة البقرة: ١٨٩) فهى البلدة الزكية أول جزيرة العرب، وللدخول منها تطلب المعارف والقرب.

أَحْبَبْتُ إظهار فضلها وذكر تواريخها، لأنى كنت اطلعت على تاريخ العلامة الفاضل الشيخ عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعى، خطيب جُدَّة، تلميذ الحافظ ابن حَجَر الهَيْتَمِى، المتوفى يوم السبت سابع شهر رمضان سنة عشرة بعد الألف بجدة المسمى «السلح والعُدَّة فى فضل ثغر جدَّة»^(١) فوجدته تاريخًا مختصرًا غير أنه لم يوف بالمقصود، ولا سيما لم يوف ما حدث بعد وفاته من حكامها والجنود، أحببت إظهار فضلها فى هذه الوريقات، وذكر بعض أخبارها مما هو آت، فجاءت بحمد الله رسالة عجيبه، جمعتها من كتب عديدة لأتمه ذوى مناقب حميدة، راجيًا من الله القبول، ونفحتها بذكر بعض مناقب الفحول، أمدنا الله بهم آمين.

وسَمَّيْتُها: «الجواهر المُعَدَّة فى فضائل جُدَّة» جعلها الله نفعًا للعباد، وذخرًا لقارئها يوم

المعاد.

(١) قامت بطبعه مكتبة الثقافة الدينية بآخرة بالقاهرة.

ورتبتهـا على مقدمة وفصلين وخاتمة، نسال الله حسنهـا.

المقدمة فى سبب إنشائهـا وضبط أسمائهـا ومن أنشاهـا.

الفصل الأول: فى فضائلهـا والمراپطة والصلاة فهـا والمجاورة.

الفصل الثانى: فى مآثرهـا وما احتوت عليه من سكانهـا.

الخاتمة: فى بعض حكايات لطيفة وقعت فى عرصاتهـا.

فأقول وبالله التوفيق:

المقدمة

في سبب إنشائها، وضبط اسمائها ومن أنشأها

قال الميرغنى رحمه الله في «عدة الإنابة»: جُلَّةٌ، بضم الجيم المعجمة وتشديد الدال وسكون الهاء، وقيل بالكسر، وهى إِسْكَلَةٌ^(١) مكة بينهما مرحلتان، ويقال لها: جديدة أيضاً بكسر الدال المهملة وفتح ما قبلها بعلها ياء ساكنة تحتية ودال مهملة مفتوحة وهاء ساكنة.

قال ابن الوردي رحمه الله في «الخريدة»: يقال: إن كل بلدة لها اسمان فناهيك بها شرقاً وعظمة.

وقال في «القاموس»: جُدَّدٌ كَسُرُّ، وصرام النخل كالجِدَادِ وَالْجَدَادِ وَأَجْدٌ: حان أن يُجَدَّ، وبالضم ساحل البحر بمكة، كالجُدَّة، وجُدَّةٌ لموضع بعينه منه بالضم وشاطئ النهر، كالجُدِّ والجُدَّة بكسرهما والجُدَّة بالضم.

والجَدُّ وَجْهُ الْأَرْضِ كَالْجُدَّةِ بِالْكَسْرِ، والجديد والجدد. انتهى.

ونقل العلامة المحدث جابر الله بن فهد أن السيد الفاسي ذكر في مسودة له أن سبب تسمية جُدَّة بهذا الاسم كونها منزل أم البشر حواء وكونها دُفِنَتْ بجُدَّة فهي جُدَّةٌ جميع العالم^(٢).

ونقل أيضاً عن الحافظ عز الدين ابن الأثير في «النهاية»: الجَدُّ - بالضم - ساحل البحر، والجُدَّة أيضاً. انتهى^(٣).

(١) الإِسْكَلَةُ: مرقا السفن.

(٢) لم ينقله جابر الله بن فهد عن الفاسي، وإنما نقله عن جده الحافظ نجم الدين بن فهد، كما ذكر في كتابه: «حسن القرى ص ٢٨» ولديه: «وقد رأيت جدى الحافظ نجم الدين عمر بن فهد ذكر في مسودة بلدانياته أن سبب تسميتها بجُدَّة لأنه نزلتها أم البشر حواء ودفنت بها، فهي جُدَّةٌ جميع من في العالم».

(٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٢٥٤.

وفى «اللسان العرب» قال: (*) والجُدَّة ساحل البحر بمكة، وجُدَّة اسم موضع قريب من مكة مشتق منه، وفى حديث ابن سيرين: كان يختار الصلاة على الجُدِّ إن قَدِرَ عليه، الجُدُّ - بالضم - شاطئ النهر، والجُدَّة أيضاً، وبه سميت المدينة التى عند مكة شرفها الله جُدَّة، وجُدَّة كل شىء طريقته، وجُدَّتْهُ (١): علامته، والجُدَّة الطريقة والجمع جُدَّدٌ، وقوله عز وجل: ﴿جُدَّدَ بَيْضٍ وَحُمْرٍ﴾ أى طرائق تخالف لون الجبل، ومنه قولهم: ركب فلان جُدَّة من الأمر إذا رأى فيه رأياً، قال: والجُدَّة: قال الفرَّاء الجُدَّدُ: الخِطُّ والطُرُق، تكون فى الجبال خِطَطٌ بَيْضٌ وسود وَحُمْرٌ، كالطُرُق واحدها جُدَّة، وأنشد قول امرئ القيس:

كَأَنَّ مَرَاتَهُ (٢) وَجُدَّةً (٣) مَتْنَهُ

كَتَائِنُ يُجْرَى فَوْقَهُنَّ دَكِيسٌ (*)

قال الأزهري: ونجادة الطريق سميت جادة لأنها خُطَّة مستقيمة.

وفى «السيرة الحلبية» أن حواء أهيئت بجدة، وحرَّم الله عليها دخول الحرم، والنظر إلى خيمة آدم وإلى شىء من مكة لاجل خطيئتها، وأنها أرادت أن تدخل مع آدم إلى مكة فقال لها: إليك عني، قد خرجت من الجنة بِسَبِّكَ فتريدان أن أحرم هذا؟! فكان آدم عليه الصلاة والسلام إذا أراد يلقاها لِيَلْمَ بها خرج من الحرم كُلِّهِ حتى يلقاها بِالْحِلِّ، وهذا يخالف ما جاء أن جبريل عليه السلام بعث الله تعالى إلى آدم وحواء عليهما السلام فقال لهما: إن الله تعالى يقول لكما: ابنيا لى بيتاً، فخطَّ لهما جبريل عليه السلام، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب، حتى أجابه الماء، ونودى من تحته: حَسْبُكَ يَا آدَمَ.

وفى رواية: حتى إذا بلغ الأرض السابعة فعذقه فيها الملائكة الصخر ما يطبق الصخرة ثلاثون رجلاً. انتهى.

وذكر محمد بن جرير، أن الله أهبط آدم على جبل سَرَنْدِيب بالهند، وحواء بحدة - بالحاء المهملة، وقيل: بالمعجمة - فجاء آدم فى طلبها فتعارفا بالمحلِّ الذى قيل له بسبب

(*) من هذه العلامة إلى مثلها ورد فى اللسان - جدد.

(١) فى الأصل: «وجدة علامته».

(٢) فى الأصل: «سأدته» والمثبت رواية اللسان.

(٣) فى المطبوع: «وجُدَّة».

ذلك عرفة، فاجتمعوا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك جمع، وركّبت إليه بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك مزدلفة^(١).

وهذا يدل على أن جمع غير مزدلفة، وهو خلاف المشهور من أن جمع هو مزدلفة، إلا أن يقال: كل من المحلين من جملة البقعة، وأطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة.

وفي «الخصائص الصغرى»: عن رزين أن حواء عاشت بعد آدم سنة كاملة. انتهى.

قال في «الدرر المنظمة في أخبار مكة المعظمة»: وأول من جعل جدة ساحلاً سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشُعْبَةُ ساحل مكة.

أقول: ولعله المحل المعروف الآن بأبهر^(٢)، ونقل السيد الفاسي في «شفاء الغرام» أن أول من جعل جدة ساحلاً لمكة المشرفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، بعد أن استشار الناس^(٣).

وذكر ابن جبير في رحلته أنه رأى بجدة أثر سور مُحَلَّق بها^(٤).

وقال الشيخ جابر الله بن فهد: إن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها وأنها كانت مدينة كبيرة، وأنها كانت في زمن الفرس، وأن سلمان الفارسي رضي الله عنه وأهله سكنوها، لأنهم كانوا قومًا تجارًا وهم الذين بنوا سُورَها الأول، وقيل: إن الذي بناه يزيد جسر^(٥) والمشهور أنه من بنيان الفرس إجمالاً، وأنهم لما بنوه اتفقوا بناءه، جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار، وجعلوا فيه أربعة أبواب: أحدها باب الدومة في جهة الشام، وباب المدينة في جهة اليمن، وكان عليه حجر أخضر فيه طَلَسَمٌ إذا سرق في البلد شيءٌ وجِدَ بالغداة اسم السارق مكتوبًا في الحجر، وباب مكة في جهة القبلة، وباب الفرضة مما يلي البحر^(٦).

(١) تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٢١.

(٢) أبهر: كان مرفأً لمجلة (ابن جبير: الرحلة ص ٤٨).

(٣) الفاسي: شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١.

(٤) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.

(٥) في الأصل: «جرزيان» والمثبت رواية جابر الله بن فهد في حسن القرى ص ٢٨.

(٦) حسن القرى ص ٢٨.

وحفروا حول البلد خندقاً عظيماً فى الوسع والعمق، وكان يدور ماء البحر حول البلد، وهى يومئذ شبه جزيرة فى وسط لُجَّة البحر، فلما حصَّنوا القرس البلد غاية التحصين وخافوا من ضيقة الماء، عمروا ثمانية وستين صهيريجاً داخل البلد، ومثلها خارجها، ثم إنَّ القرس خرجوا منها وبقيت خاوية على عروشها^(١).

وكان سبب خروجهم^(٢) فيما ذكره القاضى صلاح الدين ابن ظهيرة الشافعى، قاضى جلة حيثل، فى تاريخه لجدة، ومنه نقل صاحب «السلح والعدَّة فى تاريخ جدة» وهو أنَّ والى مكة الشريف داود بن هاشم الحسنى، وكان يجيى إليه خراجُ جلة، فى كل عام حملٌ من قُفَّبان الحديد أو النحاس، ففى بعض السنين غلط الخازندار^(٣) وبعث الخراج حملاً من الذهب، فسكت الشريف المذكور إلى العام القابل، فبعثوا إليه حملاً من الحديد على حكم المادة فلم يقبله وردَّه وقال: ما آخذ منكم إلَّا حملُ ذهب مثل العام الماضى، فتفقدا خزائنتهم فوجدوا خازن دارهم غلط فاغتموا لذلك، وجمع كبيرهم أعيان دولتهم وأكابرها وعرفهم، وأشار عليهم بالخروج منها، لكونهم يعجزون عن ذلك فى كل عام، ويعجزون أيضاً عن محاربتة على الدوام، وجعل لهم مثلاً وهو أنه أحضر لهم ثلاثة طيور، أحدها صحيحاً سالماً، والثانى متوف الجناح، والثالث ملبوح، وقال لهم: إن خرجتم الآن فأنتم مثل هذا الطائر الحى السليم، لا يُقْدَرُ عليكم، وأرسله فى الجوّ، وإن جلستم للعام القابل تكونوا مثل هذا المتوف الجناح، من طرده أمسه، وأرسله يجرى برجله، وإن جلستم إلى العام الثالث فأنتم مثل هذا الملبوح، وألقاه بين أيديهم، فاستصوبوا رأيه، وأخلوا ما يعز عليهم ويمكنهم حملة، وسافروا فى سفنهم بحراً، وتفرَّقوا فى البلدان يمتاً وشمالاً ومسواكن ودَهْلَك، فلما خلت البلدة من سكانها استوطنها الأعراب من كل مكان من جميع الجهات^(٤).

قلت: وهذه العبارة من أولها لا أصل لها غالباً بحيث أن جدة لم يسكنها غير الأعراب قديماً، ويؤيده ما سيأتى من استعمال الصديق وميدنا عثمان والرشيد وغيرهم، فلينبه.

(١) جاز الله بن فهد: رسالة فى فضل جلة ص ٢٠٤.

(٢) فى هامش ط: فأول من ذكر هذه المخافة هو ابن المجاور الذى وصل إلى جلة سنة ٦٢١هـ.

(٣) الخازندار: المشرف على خزان السلطان من نقد وأمتة.

(٤) ابن فرج: السلح والعدة ص ٣٤.

وهي أول حدود الحجاز، وأول جزيرة العرب، وسميت جزيرة لأنه أحاط بها أربعة أبحر: دجلة والفرات وبحر الحبشة وبحر فارس، والحجاز يقابل أرض الحبشة غربيها وبينهما عرض البحر فقط، وأوله من مدينة أيلة المعروفة بالعقبة من منازل الحج المصري، ومنتهاه من شامه مدينة سدوم^(١)، وهي من قرى قوم لوط، ومن غربيه جبل السراة، ومسيره نحو شهر، وهو قطعة من جزيرة العرب، التي هي طولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق.

قال العلامة القليوبي^٢: وأول جزيرة العرب عرضاً من جدة إلى ساحل البحر، إلى أطراف الشام، وطولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق، ومن المدن التي بين الحجاز واليمن: اليمامة وتهامة^(٢) وهجر، وهو من ملته الطائفة به واليتبع ويلد.

وجدة - بضم الجيم - وأصلها اسم لما قرب من النهر أو الطريق الممهد. انتهى كلامه.

وهذا مناقض لما مر من أن الشُعَيْبَةَ كانت ساحل مكة، ففي [السيرة] الحلبية وغيرها أن قريشاً حين بنوا الكعبة المشرفة في زمن النبي ﷺ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى ساحل جدة - أي الذي به جدة الآن - وكان ساحل مكة الذي قبل ذلك يرمى به السفن يقال له الشُعَيْبَةُ - بضم الشين المعجمة فلا يخالف قول غير واحد - فلما كانت السفينة بالشُعَيْبَةَ ساحل مكة اتكسرت، وقيل: كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم، يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد، فلما بلغت مرساها من جدة وقيل: من الشعبة بعث الله عليها ريحاً فحطمها، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها - القصة انتهى.

وفي «معالم التنزيل» في (سورة الفتح) بعد أن ساق قصة الفتح يوم فتح مكة: قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب الجمحي^٣: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك ليقتل

(١) في الاصل: «سدم» والمثبت رواية البكري في المسالك والممالك ج ١ ص ١١١، ولديه: «فارس» الله لوطاً إلى أهل سدوم.

(٢) تهامة ليست مدينة بل منطقة واسعة.

نفسه في البحر فأَمَّتُهُ ﷺ وقال: هو آمِنٌ، قال: يا رسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير، حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فذاك أبي وأمي، أذكرك الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتكَ به، فقال: ويلك اعزب عني فلا تكلمني، قال، أي صفوان: فذاك أبي وأمي، أفضّل الناس، وأبرّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزّه عزُّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، قال: فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمتني قال: صدق - الحديث انتهى.

فهذا الخير والذي قبله من القصة المتقدم ذكرهما يُشعران بأن جدة هي إِسْكِلَةُ مكة من أيام النبي ﷺ، وفيه نظر، إلا أن يُقال: كانت إِسْكِلَةُ لمكة في بعض الأحوال، والشعبية هي إِسْكِلَتُهَا دائماً، ثم إن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه استصوبها ونزل بها واغتسل في بحرها، وقال: إنه مبارك كما في «الدرر المنظمة» بعد أن استشار الناس وجعلها خالصة لمكة، والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

في فضائلها والمرابطة والصلاة شيما والمجاورة

فمن شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه: «لسان الميزان» بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: إذا كان رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل ما يكون من الرباط.

وروى أيضاً بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة».

وفيه أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة من أبواب الجنة في الدنيا: الإسكندرية وعسقلان وقزوين وعبدان، وأفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت»^(١).

وفي «شفاء الغرام» للسيد الفاسي، رحمه الله، بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباط وجدة جهادة»^(٢).

وفيه أيضاً بسند الفاكهي إلى ابن جريج عن أبيه عن جده: «إنى لأرجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابطين كفضل مكة»^(٣).

(١) في مثل هذه الأحاديث يقول الشوكاني في الأحاديث الموضوعة ص ٣٦: «وقد توسع المؤرخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان، ولا سيما بلدانهم، فإنهم يتساهلون في ذلك غاية التساهل، ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عليه» ثم أورد الشوكاني حديث: «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة» وذكر أن ابن عدي رواه عن ابن عمر مرفوعاً، وفي إسناده: محمد ابن عبد الرحمن البيهقي، وليس بشيء، حدث عن أبيه بهاتين حديث موضوعة، كما أورد كذلك حديث: «أربعة أبواب من أبواب الجنة... الحديث»، وذكر أن ابن حبان رواه عن علي مرفوعاً، وفي إسناده عبد الملك بن هارون، كلاب، وانظر كذلك لسان الميزان ج ٤ ص ٧١.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٠ والحديث أورده الفاكهي في أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢ بإسناده، وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٣) أورده الفاكهي في أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.

ويُسندُه أيضًا عن ضوء بن فج قال: كُنْتُ جَالِسًا مع عِبَادِ بن كثير في المسجد الحرام فقلت: الحمد لله الذي جعلنا في أفضل المجالس وأشرفها.

فقال: وأَيِّنَ أَنْتَ من جلة، الصلاة فيها بعشرة ألف ألف صلاة، والدرهم الواحد بمائة ألف، وأعمال النَّبِيِّ بقدر ذلك، يغفر للنَّاظر فيها مَدَّ بصره مما يلي البحر^(١).

وعن فَرْقَدِ السَّبْخِيِّ^(٢) أَنَّهُ قال: يكون في آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الأرض شهداء أفضل منهم.

ويُسندُه أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنه إلى عبد الله بن سعيد أَن فَرْقَدًا السَّبْخِيُّ قال: إني رجل أقرأ هذه الكتب، وإني لأجد فيها فيما أنزل الله من كتبه: جُذَّةٌ أو جُدَيْدَةٌ - بالجيم - يكون فيها شهداء، لا شهداء على وجه الأرض أفضل منهم^(٣).

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي^٥ في «الإحياء» في (باب أسرار الحج) إن بعض الأولياء كَوُشِفَ فرأى جميع الثغور تسجد لِعِبَادَانِ، وعِبَادَانِ مساجدة لَجُذَّةٍ^(٤).

قال الفاضل العلامة السيد مسعود بن حسن القنَّاوي^٦ في «شرح لامية ابن الوردي» ما نصه: عبادان بتشديد الباء الموحدة، وهي من العراق، مدينة عامرة على شطِّ البحر، في الجهة الغربية من الدَّجَلَة، وهي من مدائن بغداد. انتهى.

وأخرج الترمذی عن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَكَارِزُ^(٥) إِلَى الْحِجَازِ كَمَا تَأْتُرُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا^(٦).

قال في «القاسوس»: الحِجَاز مكة والمدينة والطائف ومخاليفها، أي طرقها وقراتها ويُعَارِزُها منها، والبُخَار هو الثغر بتشديد المثلثة أي الباب.

(١) الفاكهي ج ٣ ص ٥٣.

(٢) السَّبْخِيُّ: ذكره اللهيبي في الميزان ج ٢ ص ٣٤٥ بقوله: قال أبو حاتم: ليس بقوى، وقال البخاري: في حديثه مناكير، وقال النسائي: ليس بثقة، مات سنة ١٢١ هـ.

(٣) الفاكهي: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٥.

(٤) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٤٢.

(٥) أي يجتمع وينضم كما تأتُر الحية إلى جحرها.

(٦) أخرجه الترمذی برقم ٢٦٢٩ كتاب الإيمان: باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً.

وعنه عليه السلام أنه قال: «إن الشيطان قد يش من أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»^(١) رواء الهروي في شرحه على «المشكاة».

وفي الخبر عنه عليه السلام: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»^(٢) قال الفاضل مولانا السيد فضل باعلوي موكلي الدولة في كتابه «عدة الأمراء والحكام» ما نصه: ووجه الاستدلال أنه حكم بإخراجهم من أرضهم، ونقلها إلى المسلمين، لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين لله. انتهى.

وثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لئن عشت أو بقيت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها إلا مسلم»^(٣) قال أبو جعفر ابن جرير الطبري: في هذا الخبر من الفقه أنه عليه الصلاة والسلام سن لأمة المؤمنين إخراج من دان ديناً غير دينه، الذي بعث الله به، من كل بلدة من بلاد الإسلام إذا لم يكن إليهم بالمسلمين ضرورة حاجة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لا يساكنكم اليهود ولا النصارى في أمصاركم.

وفي الخبر عنه عليه السلام «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» قال الفاضل السيد فضل باعلوي المذكور آنفاً في «عدة الأمراء»: إن الواجب على إمام المسلمين إخراجهم من كل مضر كان الغالب على أهله الإسلام، إذا لم يكن بالمسلمين إليهم ضرورة حاجة، ولا كانت من بلاد أهل الذمة التي صولحوا على إقرارهم فيها، إلحاقاً لحكمه بحكم جزيرة العرب، قال ابن جرير: وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قال ابن عباس في ذلك، وذلك ما حدثنا الحسن بن يزيد السخاطي أثبانا محمد بن سليمان الحراني حدثنا يعقوب بن جعدة عن عبد الله بن محمد بن عجيل عن محمد ابن الحنفية رضي الله عنه عن أبيه على ابن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يترك بأرض دينان، دين مع دين الإسلام» وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يصلح ملتان في أرض».

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٨١٢ كتاب صفات المنافقين: باب تحريش الشيطان «ولكن في التحريش بينهم» أي: ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها.

(٢) أخرجه صاحب الكنز برقم ٣٥١٤٨.

(٣) أخرجه مسلم برقم ١٧٦٧ كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

وفى الصحيح أنه ليس من بلد إلا سيطَّوْهَا الدجال إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، ليس نَقَبٌ من نقابها إلا وعليه الملائكة صَاقَتِينَ.

وفى كتاب «العقد الثمين» النقب بفتح النون وضمها وسكون القاف: الباب، وقيل: الطريق، وجمعه نقاب، ورأيت بخط العلامة شيخنا أبى المكارم الشيخ محمد سعيد بشارة الخليدي المكي حفظه الله: ولا شك أن جدة من أعظم طرق مكة وأبوابها، فتكون حينئذٍ ممنوعة أيضاً من تمكن الدجال منها، أى من المكث فيها، هذا إن صدق عليها اسم البلد، وهو الأصح، وأما إن صدق عليها اسم الباب (...)(١).

وقال فى إهداء اللطائف من أخبار الطائف أن معاوية رضي الله عنه قال: سعيد مولاى أنعم الناس عيشاً، يقيظ بالطائف ويشتى بمكة ويربع بجدة. انتهى(٢).

وأما فضل المراقبة بها وبغيرها أيضاً من الثغور قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (سورة آل عمران: ٢٠٠) فالرباط أحد شعب الإيمان، وموجبات الغفران، وقد ورد فى فضله أُنسياء لم تكن فى القربات، منها ما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس على البحر احتساباً ونية احتياطٍ للمسلمين كتب الله تعالى له بكل نظرة حسنة» وفى بعض النسخ «بكل قطرة حسنة»(٣).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «الناظر فى البحر فى سبيل الله تعالى يكون له مد بصره نور يستضىء به كما بين صنعاء والجابية، وعنه أيضاً أن رباط يوم وليلة خير من الدنيا وما فيها.

وعن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، ورباط شهر خير من صيام دهر»(٤). انتهى.

فكل خير ينقطع إلا عمل المرباط فإنه يكون له ثواب رباطه إلى يوم القيامة، كما وردت به الآثار.

(١) كلمات غير واضحة فى الأصل.

(٢) المجيبى: إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص ٣٧.

(٣) أورده صاحب الكتز برقم ١٠٧٢٧ وعزاه للطبرانى فى الكبير.

(٤) أخرجه مسلم برقم ١٩١٣ كتاب الإمارة: باب فضل الرباط فى سبيل الله.

ولله دَرُّ الفاضل الورع المربط الشيخ العجلي حيث قال:

فأَنَا الفتى العجليُّ جُدَّةً مَسْكَنِي

وخرَازنةَ الحرم التي لا تجهل

وَيَهَاَ الرِّباطُ مع الجهاد وإنما

لَيْهَاَ الوقِيعَةُ لا محالة تنزل

من آلِ حِمامٍ في أواخر دهرنا

وشهيدَها بشهيدٍ بَنَرٍ يُعَدُّ

شهادَتُنا قد فَضَّلُوا بِسَعَادَةٍ

وبها السرور لمن يموت ويقتل

وروى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباطٌ وجدة جهاد»^(١) وعن ابن جُرَيْج قال: سمعت عطاء بن رباح يقول: إنما جدة خزانة مكة، وإنما يؤتى به إلى مكة لا يخرج به منها^(٢)، وقال ابن جُرَيْج: فضل رباط جدة على سائر المرباط كفضل مكة على سائر البلدان^(٣). انتهى.

والحاصل أن فضائلها كلها لا تُحصى، منها: أن الله شرف طريقها إلى مكة أيضاً لكون بعضه موطنًا لأقدامه ﷺ الشريفتين وأصحابه، حيث كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة في طريقها، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَصَّى اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (سورة الفتح: ١٨) وهي بطريق جدة، عام الحُدَيْبِيَّةِ، وحُدَيْبِيَّةُ هو المحل المعروف الآن بالشَّامِسيُّ، كما ذكره بعض المفسرين.

قال في «القاموس» الحُدَيْبِيَّةُ كدُوَيْبِيَّةٍ - وقد تشدد - بئر قرب مكة حَرَسَهَا الله تعالى، أو شجرة هناك^(٤).

(١) أورده الفاكهي في أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢ بإسناده، وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.

(٣) الفاكهي: أخبار مكة ج ٣ ص ٤٣.

(٤) القاموس: الحُدَيْبِيَّةُ.

وعن ابن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: بينما نحن قائلون ومن الحديبية نادى منادى رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة، نزل روح القدس، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرّة فبايعناه.

وفي «مسلم» عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت ابن المسيب فأخبرته، فقال سعيد: كان أبي ممن بايع تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقلد عليها... الحديث^(١).

وفي رواية عن ابن المسيب عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها^(٢).

وقال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

وروى أن عمر ﷺ مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهب الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: هاهنا وبعضهم يقول: هاهنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا فقد ذهب الشجرة.

وللبخاري عن ابن عمر ﷺ قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، وكانت رحمة من الله. انتهى.

ومنها أن الله تعالى شرفها بِنَزْلَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وخصوصيات سُنَّةِ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ ورود وفد الله تعالى من جهتها، فترى كل ولي لله تعالى وحبر وتقى وصالح وزكى إلا وهو يمرُّ عليها، ويدخل من (سُكُنِهَا) كما هو الغالب، لأن الحجاج كلهم أضياف الله وتعالى وفي كنفه وأمنه، فهي ممرُّ الأبرار، ومقرُّ التجار، ضاعف الله فيها البركات، وأظهر الخيرات.

وأما بحرهما وهو المسمى ببحر القلزم قال ابن الوردي في «الخريدة»: خليج القلزم ومبدؤه من باب المنذب حيث ينتهي البحر الهندي فيمر في جهة الشمال مغرباً قليلاً فيتصل

(١) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٩ كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٩ كتاب الإمارة.

بغربي اليمن، ويمر بتهامة واليمن إلى مدين وأيلة وفران، وينتهي إلى مدينة القلزم فيمر بشرقى بلاد الصعيد إلى عيذاب إلى جزيرة مساكن إلى رالع من بلاد البُجّة، إلى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندي، وطول هذا البحر ألف وأربعمائة ميل.

وأما من ساحل جدّة إلى ساحل السويس، وهذا البحر يسمى البحر الأحمر، وأما أرض القلزم المسمّى باسمها هذا، وهي بين مصر والشام وهو بحر في ذاته، وفيه جبال فوق الماء وفيه قروش - أي سمك كبير - وحيوانات مُضرة ظاهرة ومخفية، كانت القلزم مدينتين عظيمتين فتهدمتا من تسلط العرب على أهلها، وشربهما من عين سدير^(١) وهي وسط الرمل وماءه رعاق، وبين القلزم - وهو متهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرقي من الصين - وبين البحر الشامي مسافة أربع مراحل تسمى بأرض السّيه، وهو تيه بنى إسرائيل، وهي أرض واسعة ليس بها وُدّة ولا رابية ولا قلعة، ووسعها خمسة أيام في خمسة، ومن مدنه المشهورة عقبة أيلة وهي قرية صغيرة على جبل عال، صعب المرتقى يكون ارتفاعه والانحدار منه يومًا كاملاً، وهي طرق لا يمكن أن يجور فيها إلا واحد واحد على جانبها أودية بعيدة المَهْوَى^(٢). انتهى.

وبحر القلزم هذا هو الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه، ونَجَّى الله موسى وبني إسرائيل، وحدود هذا البحر إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين في حد مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتي مرحلة، وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حجر بالمغرب على خط مستقيم كان نحو مائة وثمانين مرحلة، وإذا قطعت من القلزم إلى حد العراق إلى نهر بلخ شهرين.

والحاصل أن هذا البحر أهون البحار وأكثرها بركة وخيرًا، قال في الدرر المنظمة في أخبار مكة المعظمة: وفي سنة ست وعشرين من الهجرة اعتمر من المدينة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فأنى مكة ليلاً فطاف وسعى - إلى أن قال - وحول ساحل مكة القديم وهو الشُعْبِيَّة إلى ساحلها الآن المعروف بجدة لقربها من مكة، وخرج إليها واغتسل في بحرها وقال: إنه مبارك، ثم خرج من جدة على طريق عسفان إلى المدينة منصرفًا.

(١) في الأصل: «سدير» والمثبت رواية ابن الوردي في الخريدة الذي ينقل عنه المؤلف.

(٢) ابن الوردي: الخريدة ص ٤٧.

وقال بعضهم: إن جلة هي قديمة على حالها من قبل النبوة ساحل مكة، واحتج بما مرَّ سابقاً من أن لها مسجداً ينسبان إلى عمر بن الخطاب، وبما مرَّ سابقاً أيضاً من كلام الشيخ جابر الله ابن فهد، ومن خروج صفوان بن أمية إلى جلة يريد ينزل منها إلى اليمن، كما في السير، وما ورد فيها من الأخبار، إذ لو لم تكن ساحلاً لم يرد فيها ما مرَّ، فليحرق، ويمكن الجمع بين القولين بأنها كانت ساحلاً إلى أول خلافة سيدنا عثمان ثم تركت، واستعملت الشعبية ثم نزل سيدنا عثمان ليراها فردّها ساحلاً، ويؤيده ذكر عمالها كما يأتي.

ثم اعلم أن البحر الذي اغتسل فيه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه هو المعروف الآن فيها ببحر الأريمين، وهو بناحية من ساحلها، ولم يزل أهل جلة إلى الآن يفسلون مرضاهم فيها تبركاً بمائه كما هو المعهود.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثاني

في مآثرها وما احتوت عليه من سكانها

فأقول وبالله التوفيق:

قال التقى الفاسي في تاريخه^(١): إن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه استعمل على جدة الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان أسلم عند إسلام أبيه نوفل، وكانت تحته درة بنت أبي لهب ابن عبد المطلب، وهو أول أمير استعمل على جدة فلها لم يشهد حينئذ، وخالف في ذلك اللهي وقال: إنما استعمل أبو بكر وعمر وعثمان الحارث بن نوفل على مكة، وتوفي آخر خلافة عثمان، وهذا القول ضعيف والمعتمد الأول، لأن سيدنا أبا بكر الصديق إنما استعمل عتاب بن أسيد رضي الله عنه على مكة بعد استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له عليها، وتوفي عتاب في نعي أبي بكر بعد موته، وهذا ما اعتمده التقى الفاسي وغيره من أن الحارث بن نوفل استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض صدقات مكة وبعض أعمالها، ثم استعمله أبو بكر رضي الله عنه على جدة، وتوفي في آخر خلافة عثمان.

وأما فقهاؤها فهم الظهيرية، وأول من سكنها منهم الشيخ على بن الصديق الجعوني، المقبور بجدة، وكان من أهل العلم والصلاح.

وبنو المذكور الأشراف من بني القديمي، أول من سكنها منها السيد سليمان بن المذكور، وهو من بيت ولاية وكرامة.

وبيت المساوي أول من سكنها منهم الشيخ أحمد بن الصديق المقبور بجدة، والفقير من أهل اليمن.

وخلاقي لا يحصون كما هو مذكور في التاريخ المتقدم ذكره.

(١) العقد الثمين ج ٤ ص ٢٩.

وبها من المآثر القديمة قبر السيدة الكريمة حواء، أم البشر، وهو بالجانب الشرقى على يمين الداخل إلى جدة^(١) من باب مكة، كما اعتمده غير واحد من المحققين، ويؤيده ما ذكره صاحب «السيرة الحلبية» وغيره من أن نزول السيدة حواء كان بجدة، فلا خلاف في ذلك بين أهل التواريخ، وأما قبرها فقد اختلف فيه، والصحيح أنه القبر الشهير بجدة كما أعلم بذلك بعض أهل الكشف^(٢)، وعلى سُرَّتْها قبة جليلة^(٣)، وفي الحديث: «من رار والديه» وفي رواية: «أبويه في كل جمعة كتب باراً» وصيأتي الكلام عليه في رحلة العلامة العياشي رحمه الله تعالى.

قال العارف بالله سيدى محى الدين ابن عربى^(٤): وقد كنت مرة اعتمدت عن والدى آدم عليه السلام، ورأيت ذلك من صلة الرحم الغافل عنه كثيرون من الناس، فرأيت الملائكة يترحبون بى وهم أكثر فرحاً بهذا الخير العظيم، ورأيت آدم عليه السلام أكثر فرحاً بهذا الخير، أو كما قال من هذا المعنى فليراجع، فزيارة قبرها يكون من جملة البر، وكذا أعمال الخير، قال بعض الافاضل:

وفى جدة يمسى السرور مجددا
وللطير فى أفتانها بالهنا صدحُ
ويعلب من عَيْلَاب أرياق ثغره
وشام بها من لذة الشرب ما يصح
وأعداؤنا أعداؤكم غير أنهم
ظلام محاه من صداقته الصبح

وقال الفاضل العلامة الشيخ عبد الله العياشى، فى رحلته المشهورة بعد أن ذكر مجيئه من المدينة إلى مكة المشرفة، وقضى مناسكه، قال ما نصه: ومنها مدينة جدة، ولما كان

(١) أصبح الموضع المذكور وسط المدينة على يمين شارع المطار للمتنجه إليه (من حواشى المطبوع).

(٢) لا يصح الاعتماد على هذا الرأى القائم على خرافة (من حواشى المطبوع).

(٣) أزيلت القبة من كل القبور، عملاً بأمر رسول الله ﷺ لعلى ﷻ «لا تدع قبرك مشرفاً إلا سويته» (من حواشى المطبوع).

(٤) رأى علماء السنة فى ابن عربى أنه رجل ضال مضل (من حواشى المطبوع).

لى رغبة قوية فى معرفة أرض الحجار وروية ما بها من البلاد غير الحرمين، عزمت على الوصول إلى مدينتها لزيارتها، وزيارة ما بها من المساجد والمشاهد، كالمحل الذى يقال: إن فيه قبر أمنا حواء.

وممن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة ابن خلكان فى ترجمة ابن قلاؤس الشاعر^(١)، وذكره أيضاً فى ترجمة أخرى.

ولأنها فى نفسها من أعظم البقاع فقد ورد فى فضلها وفضل المقام بها، والرباط فيها عدة آثار نقلها الأخباريون.

فخرجت إلى ريارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العاشر من شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين، واكترى لى شيخنا أبو مهدي حماراً لركوبى، ولم أر أسرع مشياً من حمير الحجار ولا أوطأ مركباً ولا أقل تعباً مع السرعة المفروطة فى المشى.

فقد كنت أنظر وأنا راكبها إلى أطرافى هل تحرك منها شيء مع الإسراع فى المشى، فلا تكاد تبين لى حركة شيء منها، مع أن مركوبى ليس من أجودها، فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلى المغرب بجدة فيركب عليه ويصلى الصبح بمكة، وهى مسافة القصر تحقيقاً.

أقول: وهذا هو الغالب فى وقتنا هذا على أنه يركبون نحو العشرين راكباً بعد صلاة المغرب فيصلون الصبح بجدة، وقد ركبت مرة فى الساعة الثالثة من الليل سنة إحدى وثمانين^(٢) من مكة ودخلت جدة عند شروق الشمس صبيحة تلك الليلة. انتهى.

ثم قال: وهم يتغالون فى ثمن ما هذه صفته منها فيبلغ الحمارة مائة دينار ذهباً، ولقد رأيت حماراً عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبلى رافقنا عليه من المدينة إلى مكة تحتقره العين، فأخبرت أنه اشتراه بقرىب من ذلك الثمن.

أقول: وفى وقتنا تباع هذه الحمير بمكة تجيء من الشرق من ناحية (الحسا) تسمى الشروق والحساوية وكلها بيض غالبها من مائة ريال فراتسة^(٣) وثمانين ريالاً إلى ستين إلى

(٢) أى (١٣٨٢هـ).

(١) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٨٩.

(٣) الريال الفراتسة هو الريال النموى الذى فوقه صورة مارى تريزا (من حواشى المطبوع).

خمسین إلى أربعین لكنها غشيمة فی المشى فتخرج فی مكة وتدرج وتسير أحسن سير، حتى أن عند خروج أهل الركوب من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ على الهجن يخرج أهل هذه الحميم بحميرهم نحو الستين والمائة حمار من مكة إلى المدينة المنورة يسبقون الهجن لا يتأخر منهم أحد. انتهى.

ثم قال: ولما خرجنا من مكة من الثنية السفلى إلى مناخ الحجاج أسفل ذى طوى، عدلنا ذات اليسار قليلا، وسلكنا في شعاب هناك، وعقاب ليست بالوعرة وبين مكة وجدة ثمانى قهارى.

أقول: وهى الآن اثنا عشرة قهوة ينزل المارون بها في كل قهوة فيستريحون يشربون القهوة أو الماء ويشترون علفا للدواب، أو طعاما لهم.

فأولها: قهوة في مقابلة للتنعيم فيما أظن في شعب مررنا عليها قرب المغرب.

أقول: وهى المعروفة الآن بقهوة البستان ثم قهوة أم الدود ثم قهوة المقتلة ثم قهوة سالم. انتهى.

والثانية: في منفسح الوادى الذى يخرج منه إلى رمال الحديبية.

والثالثة: عند بئر الحديبية عند متهى الحرم، ومنها يُحرّم الناس بالعمرة من شاء منهم، وحول البئر مسجد معطل قد انهدم أكثره، وقد طلبنا من أهل القهوة جبلا ودلوا حتى استقينا منها، وشربنا من مائها للبركة، لما ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ بارك عليها حتى غزر ماؤها، أو تفل فيها.

والرابعة: فى قرية تسمى حدة قرية من شفير الوادى الكبير الذى يأتى أصله من مر الظهران، وفيه أثل وعشب كثير ومزارع إذا جاء السيل.

ثم الخامسة: حول مزرعة كبيرة هناك يجلب منها بطيخ كثير إلى مكة مشهور عندهم بالجودة تسمى بحرة.

والسادسة: عندما يريد الذهاب الصعود إلى جبال يمر الطريق فى وسطها.

والسابعة: عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذهاب إلى مكة.

والثامنة: التى عند جلة بالمحل المعروف بالرغامة.

وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جدًّا واتسع النهار واشتد الحر، وهى مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين، فى كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكر لا تفارقه، وقد رأيت فى الحصار الغربى منها ما يستغرب وصفه من المدافع طولًا وكبرًا، ورأيت فيها مدفعًا له خمسة أفواه بصنعة غريبة.

وفى مرساها سفن كثيرة كبار وصغار وغالبها معمول بالشريط، صنعة عجيبه ليس فيها مسمار، وهى مع ذلك كبيرة المقدار متباينة الأقطار، واسعة الأنحاء تحمل أضعاف ما تحمل غيرها من السفن.

وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر، وغالبها أخصاص واسعة مفتحة إلى البحر، وإلى ناحية البلد، فيها قهاوى ومجالس حسنة يبالغ أصحابها فى كنسها وتنظيفها ورشها بالماء، وفيها جلوس غالب أهل البلد، وقد اتخذوا فيها أسرة كثيرة منسوجة بشريط الدوم، بصنعة محكمة.

وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة من المسجد، فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر، واكثرنا لكل واحد سريرًا يرقد عليه بدرهم إلى الصباح.

ومسجدها الكبير من أحفل المساجد وهو المعروف بالشافعى، فيه أعمدة من الساج، مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط، طيب عودها، يحسبها من لم يتأملها رخاما أحمر، أخيرنى شيخنا أبو مهدي أنه يقال: إن أعمدة ذلك المسجد جلبت فى صدر الإسلام من كنيسة فى أرض الحبشة عندما انتحها المسلمون.

وررنا المحل الذى يقال: إن فيها قبر أئمة حواء، وقد ذرعه بعض أصحابنا فكان قريبًا من ثلاثمائة ذراع، والله أعلم بصحته.

وكان فيها مفتيان أحدهما شافعى المذهب، وهو الشيخ عبد القادر، وهو رجل حسن الأخلاق، ولقيت أيضًا مفتى الحنفية الشيخ مصطفى، وهو رجل له مشاركة فى العلوم سالك على طريقة السادة النقشبندية، أدرك الشيخ تاج الدين ابن عثمان النقشبندى، وله خبرة بكلام القوم. انتهى. من الرحلة المذكورة.

ومنها قوله: وقد شاهدنا في هذه الخطرة - يعني في السفر من جدة إلى مكة - من العافية التي بسطها الله في الطرق والقرى والأمان السام ما قضينا منه العجب، فمن ذلك أنَّا لقينا غيرًا في ليل مظلم، تحمل أحمالا من البَزِّ الهنديِّ والقماش الرفيع، نحو من عشرين جملا، وطلبنا من أصحابها من نسأله عن خبر البلد فلم نجد معها أحدا، وذهبنا نحوًا من ميل، فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين، وأخبرونا أنَّها كذلك حتى لو ذهبت إلى مكة لم يعترضها أحد، وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت في أيام الأمير زيد ووالده محسن، فمن ذلك أنَّهم رعموا أن رجلا جاء إلى السلطان محسن فقال له: إني وجدت بالفلاة الفلانية حملا من البز، فقال له: ومن أخبرك أنه من البز؟ فقال: مسسته برجلي، فأمر بقطع رجله، وقال له: لم مسسته برجلك؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات، ولا نعلم صحيحها من بقمها.

ومن لطيف ما شاهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها أن المسافرين من مكة إلى جدة ومن جدة إلى مكة يكترون الحمير للركوب، ولا يذهب صاحب الدابة معها، فإذا بلغ المكترى إلى المحل الذي ذهب إليه أرسل الحمار ولا عليه فيه، فلا يأخذه أحد إلا ربه، إن كان في ذلك البلد أو نائيه، ولكل واحد من أصحاب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه.

وقد رافقنا من مكة إلى جدة ذهابًا وإيابًا صاحبنا الحاج علي العقاب التونسي، وكان من التجار المجاورين بمكة المشرفة في هذه السنة فكان معه جملة من أصحابه فلم يتركنا ننفق في هذه السفرة ولا درهماً واحداً، فكان الإنفاق من عنده في كل ما ينوب من منازل الاستراحة وكراء المنازل وما ينوب في أيام الإقامة، فجزاه الله خيراً. انتهى.

الخاتمة

فى بعض حكايات لطيفة وغيرها، وقعت فى عرصاتها

وفى بناء سورها

قال العلامة الفاسى فى تاريخه^(١)، وفى «الدرر المنظمة»: إن فى سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة جاءت الحبشة إلى جدة جنودًا وجرودا فى عددٍ وعددٍ، فوقموا بأهل جدة فخرج الناس من مكة إلى جدة غزاة فى البحر، وأميرهم عبد الله بن إبراهيم المخزومى، عامل الرشيد العباسى، فقاتلهم وصرفهم الله، وذلك لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «حجة لمن لم يحج وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج، وغزوة فى البحر خير من عشر فى البر، ومن جار البحر فكأنما جار الأودية كلها، والمائد فيه كالمشحط فى دمه»^(٢) أخرجه أبو ذر فى منسكه.

قوله: والمائد هو الذى يدور رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأموال من ماد يمد، إذا مال وتحرك، ويقال: تشحط المقتول بدمه أى اضطرب فيه. انتهى.

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين نُهبت جدة وأهلها، وقتل بها قتلاً ذريعاً، والفاعل ذلك كله إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، بعد أن فصل أفعالاً قبيحة بمكة، فهرب عامل مكة وجدة، وهو جعفر ابن الفضل بن عيسى العباسى فنهب الكعبة، وأخذ الذهب الذى فيها وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس مائتى ألف دينار، ثم رحل بعد مقامه فى مكة سبعة وخمسين يوماً إلى جدة، فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار، وأصحاب المراكب بعد أن وافت المراكب من القلزم، ثم رجع إلى مكة وطلع إلى عرفة يوم الموقف، وقتل من الحجاج

(١) خفاء الغرام ج ١ ص ١٤١.

(٢) أخرجه صاحب الكنز برقم ١٠٥٩٧ وعزاه للطبرانى فى الكبير.

وغيرهم نحو ألف ومائة، وهرب الناس ولم يبقوا بالموقف لا ليلاً ولا نهاراً، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها^(١).

وذكر العلامة ابن خلدون أنه كان يتردد إلى الحجاز في سنة ٢٢٢ وأنه خرج في أعراب الحجاز ويسمى بالسفاك حتى أهلكه الله بالجدري في آخر سنة ٢٥٢، لأنه ضيق على أهل مكة وأهل جدة تضييقاً رائكاً، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

وفي سنة ٨٠٦ تولى أمر جدة جابر بن عبد الله المعروف بالحرّاشي، أصله من التجار فولاة الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر جدة، فقام بمصالحة أحسن قيام، وكان يحسن السياسة في استيفاء المكوس، ولكنه زاد فيها كثيراً عما كانت عليه قبل ولايته، وبنى الفرضة التي بجدة ليحاكي بها فرضة عدن، وكانت فرضة جدة على غير هذه الصفة، ثم تغير عليه صاحب مكة لخبط لسانه، فقبض عليه في أوائل رمضان سنة ٨٠٩ ثم رده إلى عمالته بجدة، ثم تغير عليه صاحب مكة لما نسب إليه للسيد ربيعة بن محمد بن عجلان على دوام عصيانه لعمه، فإن ربيعة هجم على مكة في رابع عشر جمادى الآخرة، وفي سنة ٨١٦ هجم المذكور على جدة في رمضان من السنة المذكورة ونهب جدة فسعى جابر أمير جدة بينهما بالصُلح، ووقع مع ذلك من جابر المذكور مخالفة لمخلومه أمير مكة في بعض أوامره، فقبض عليه يميني، في النفر الأول ثم قرر على أمواله وأشعر بقتله، فصلى ركعتين وخرج من أجياد مع الموكلين بقتله إلى باب المعلا فشنق به، ولم يظهر منه جزع في حال شنته، ولا في ذهابه إلى الشنق، ولا تكلم بكلمة واحدة، ودفن بالمعلا.

وكانت أدعية الحجاج عليه كثيرة في موسم هذه السنة بسبب زيادته عليهم في أمر المكس، فأصيب من المقدور بسبب دعائهم، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب كما في الحديث الشريف. انتهى من «تاريخ الفاسي»^(٢).

وأما سبب بناء مسورها الموجود الآن لأنها كانت غير مسورة وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبا مرارا قال العلامة القطبي في «تاريخه»: كانت العربان كثيراً ما تنهب جدة حتى أن عربان ربيد - بضم الزاي قبيلة مشهورة قرب جدة - أسرّت في أيام الفتن

(١) تاريخ الطبري ج ٩ ص ٣٤٦، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٥.

(٢) العقد الثمين ج ٣ ص ٤٠٠.

الخواجه محمد بن يوسف القارى، وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا على بيته بجدة، وأنزلوه من السطح، وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدغه واحد من زبيد، وأخذوه إلى أماكنهم، وهو قريب عقبة السويق من درب المدينة المنورة، ومكث عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم، فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه^(١).

ونهبت جدة مراراً في الفتن التي وقعت في أرض الحجاز بعد وفاة الشريف محمد بن بركات، وجرت أحوال يطول شرحها مذكور بعضها في تاريخنا: «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» في الجزء الثاني والثالث منه.

وفي سنة ٩١٩ وقيل: سنة ٩١٧ أرسل السلطان الغورى الأمير حسينا الكردى وجهز معه عسكرياً من الترك والمغاربة، لدفع ضرر الفرنج في بحر الهند، وكان مبدأ ظهورهم، وأمره بدفع الفتن الواقعة إذ ذاك بجدة، وجعلها له إقطاعاً فلما وصل الأمير المذكور إلى جدة بناء في هذه السنة، وهو الموجود الآن، وكان ظلوماً غشوماً يسفك الدماء، ولا يرحم من في الأرض ليرحمه من في السماء، وكان ينصب أعواداً للصليب والشق (والشكلة) وأقام جلادين للقتل والتسويط والضرب والبهدلة، فأى مسكين وقع في يده قتله بأذى سبب، وكان أكلوا يستوفى الخروف وحده، مع أرغفة عذبة، ونفاس له معدة، وكان أصله كردياً دخيلاً في وظائف الجراكسة، فأراد الغورى إبعاده، وكان معتبياً به فأعطاه جدة، فلما أتى جدة سورها وبنى أبراجها وأحكمها، وهدم كثيراً من بيوت الناس، مما يقارب موضع السور، لوضع الأساس، واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين، حتى التجار المعتبرين وسائر المتسبيين، وضيق على البنائين بحيث يحكى أن أحدهم تأخر قليلاً عن المعجىء فلما جاء أمر أن يبنى عليه حياً فبنى عليه واستمر قبره إلى يوم الجزاء، إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد، وبنى السور جميعه في دون عام من شدته وغشمه وإقدامه وظلمه. انتهى^(٢).

وكان طول أساس السور المذكور في الأرض اثني عشر ذراعاً، وطول المحيط بالبلد من جهة القبلة واليمن والشام ثلاثة آلاف ذراع، غير الأبراج، وهى ستة أبراج، دور كل برج منها ستة عشر ذراعاً بجدراته، وعرض جدار السور أربعة أذرع، وأما الأبراج فطول

(١) النهرولى: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٤٤٤ - ٤٤٥. (٢) النهرولى: الإعلام ص ٤٤٥.

الشامي واليماني على وجه الأرض خمسة عشر ذراعاً، والبرجان القيلبان الملاصقان لباب البلد المسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن، والآخر باب النصر وهو الأيسر، وطولهما على وجه الأرض أيضاً كذلك، وأما البحريان فقد نزل بهم الغواصون في البحر اثني عشر ذراعاً، وجميع ما ذكر من الأذرة فبلراع العمل وهو ذراع ونصف بلراع النجار^(١).

ثم ما زال الأمير حسين الكردي يقتل ويشق في جلة بغير حق حتى توجه إلى الهند، ثم سفك الدماء بأرض اليمن، وافتتح في طريقة مملكة بنى طاهر ظلماً وعدواناً، بعد حروب يطول شرحها، وأقام بها نوباً له، وكانوا ملوكاً من أهل السنة والجماعة، ثم رجع إلى مكة المشرفة، وكانت إذ ذاك دولة الجراكسة قد انقضت بمصر، وتوجه الشريف أبو ثُمَيَّ بن يركات وعمره اثنتا عشرة سنة إلى مصر ورجع مسروراً بما طلب من السلطان سليم، وأمره بقتل حسين الكردي، فنصره الله عليه وأخذ الأمير حسين الكردي مقيداً من مكة إلى جلة، ووطئ في رجله حجر كبير وغرق في بحر جلة في موضع يقال له (أم السمك) فأكلته الأسماك بعد أن كان من الأملاك، وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ٤٩) كذا في «تاريخ القطبي»^(٢).

^(٣) وفي أوائل سنة ١٢١٨ سادس شهر محرم الحرام سافر أمير مكة الشريف غالب بن مساعد من مكة إلى جلة خوفاً من طائفة الوهابيين^(٤) حين أقبلت على مكة بعد خرابهم للطائف وقتلهم لأهلها بغيا وعتوا^(٥)، فترك مكة ونزل جلة للحصار، وبقيت الرعايا بمكة لا

(١) ابن فرج: السلاح والعدة ص ٤٠: وذراع النجار التي أشار إليها المؤلف هنا تبلغ ٧٧,٥ سم، فتكون ذراع العمل التي قدر بها المؤلف أبعاد سور جلة هي ٧٧,٥ سم × ١,٥ = ١١٦,٢٥ سم. سيمتر (المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٩١).

(٢) الإعلام للنهر والي ص ٢٤٦ وما بعدها.

(٣) الحواشي من هنا إلى قوله: «تلتصق في الزلّة» ص ٤٦ مما كتبه الشيخ حمد الجاسر في هذا الموضع من المطبوع.

(٤) كلمة الوهابيين ألصقتها بدعاة الإصلاح أعلنوا لهم للتفتير من قبول تلك الدعوة، ولكنها أصبحت تطلق على كل من دعا إلى تطهير العقيدة السلفية من البلبخ والخرافات، والله در الملا عمران صاحب لنجة حيث يقول:

إن كان تابع أحمد متوهمًا فأتانا المقر بأننى وهابى

(٥) ما حدث في الطائف أكثره - إن لم يكن كله - من البوادي الّية منه، وقد أوضح ذلك الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة مطبوعة معروفة في كتاب «الهدية السنية».

يقر لها قرار، وقد استسلم أهلها للشهادة، وطلبوا من الله الحسنى وزيادة، حتى قال قائلهم.

مَسَاكِينُ سُكَّانِ أُمِّ الْقُرَى
فَكُلُّهُ يَنْبُوحُ عَلَى نَفْسِهِ
يُقَضُّونَ لِيَاثِهِمْ كُلُّهَا
عَلَى أَسْفِ أَوْ عَلَى عَكْبِهِ

وذلك بعد أن دافع أشد المدافعة وقاتل أعظم المقاتلة، ولكن رجع عليه هذا الخارجى^(١) بالتغلب والأعراب، وهم كالبهائم والوحوش إلا أنهم أحزاب، وقد ذكرت القصة تفصيلاً في الجزء الثالث من تاريخنا المسمى «نزعة الفكر في الحوادث والعبر» وكان لما استولى سعود الوهابى على مكة وما جرى له في عرصاتها من كل طريق وسكة، بدّل حرم الله بالخيفة بعد الأمان، وخالف في أفعاله ما جاء به القرآن^(٢)، أرسل إلى جدّة على ابن عبد الرحمان شفيق المضايقى عثمان، بكتاب لأهل جدة يطلب منهم الدخول في طاعته، وانخراطهم في سلك جماعته، فأجابوه استهزاءً بعقله، وسخروا من حماقة وجهله وقالوا: بأننا رعية لمولانا الشريف، فطاعتنا من طاعته، ولا نكون إلا من جماعته، وعلى كلّ حال هبّ على الفرض والتقدير، لو فرض أننا نطيعك ونعصيه، ونقربك ونقصيه، وندخل معك في هذا الدين، ونقرّ على زعمك أننا من المشركين، هل تطلب منا شيئاً من الدراهم؟ أم يصبح الدخول في دينك بدونها؟

فلما قرأ الكتاب، فرح بما فيه من الجواب، وظن من قلة عقل هذا الأحمق أن هذا الكلام حق، وهم يسخرون من حماقته، ويعجبون من رقاسته، فأرسل يطلب مائتى ألف

(١) وصف أتباع الشيخ محمد بأنهم خوارج أصله أن الدولة التركية وأتباعها لكى ينفروا الناس من قبول تلك الدعوة السلفية وصموا أهلها بالخروج، وقد تصدى علماء الدعوة للرد على هذه الفرية، وأوضحوا أنهم براء من كل مله يخالف الكتاب والسنة.

(٢) بل الأمر بعكس ذلك، فقد طهر الإمام سعود بيت الله مما كان يجرى حوله من البدع والخرافات وأمور الضلال، وهذا مما اعترف به كل إنسان منصف حتى من علماء مكة أنفسهم، كما أوضح ذلك الإمام الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته التى سبقت الإشارة إليها.

ريال، وستين ألف مشخص عتيق، وبسطة آلاف ريال من القماش الرقيق، فتوجه لقبض الأموال في الحال وركب متن الطريق، بكل فاجر زنديق^(١) وتوجه إلى جدة، وفي قلبه لقبض الدراهم حدة، وكان يوم الجمعة الثاني والعشرين من محرم سنة ١٢١٨.

فخرج قبل صلاة الجمعة، معه المنافقون والكافرون: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٧) وكان مدة إقامته بمكة أربعة عشر يوماً، ولما أتاها بأسفل جدة، وقد استعد له الشريف بالسلاح والعدة، فتبسم له قَمُ المدفع بالقلل، وصار يُشتتهم من محل إلى محل، فحملوا حَمَلَةً رجل واحد على السور، وراموا ينقزون وينهبون القصور، فتشتتهم المدافع حتى يتهزمون، وما زالوا على هذا الحال مدة ثلثيها ثلاثة أيام، ولحومهم يَشْوِيها البارود، وسعود يُزَيِّنُ لهم الأمانى والوعود، وإبليس يقول له: المال هنا لا نعود، فكانوا لا يصلون إلى المخيم، إلا وقد شاهلوا نار جهنم.

وما زال هذا الشقى يقاتل تَجَبُّراً وعناداً، حتى مضى له ثمانية أيام، ثم ارتحل عنها بالخزى وقام، فملأت قتلاهم السهل والوهاد، حتى شبعت الوحوش من تلك الأجساد، وجاء تاريخه (منقلبه سعود مغلوب) فارتحل هذا المعكوس، وقد رأى من الشريف بجدة حرب البسوس، فتوجه الشقى من أشراف مكان إلى حيث يطلع قرن الشيطان^(٢).

وفي يوم من بعض الأيام ورد عبد الوهاب أبو نقطة وظن أنه يجد بمكة معبود، ويقااتل معه بجيش ويعود، فما وجده إلا وقد خذل، فلم يدخل مكة المحمية ونزل بجيوشه على عين الحسينية، وخطر ببال هذا المرقد^(٣) أنه يقاتل بندر جدة ويحقد، فأقام بالحسينية يياض يومه بقومه، وأرسل للشريف عبد المعين كتاباً ومعه خمسة عشر ريالاً، وكتب فيه فاسد العقل فقال - وكان الشريف عبد المعين من عمال سعود: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** من عبد الوهاب أبو نقطة إلى عبد المعين بن مساعد، السلام عليكم

(١) لا تجب الإطالة بالتعليق على الكلمات البليدة التي لا تليق بماقل، فضلاً عن عالم، ويظهر أن الحضراوى استقى كثيراً مما ذكرنا هنا من مؤلف ابن عبد الشكور الذى نشرت مجلة «العرب» خلاصته. (ص ١٠ ص ٨٠١ إلى ٨٦٨).

(٢) يشير إلى حديث معروف، إلا أن العلماء المحققين قد أوضحوا أن المقصود به بلاد العراق لا بلاد نجد، فتلك شرق المدينة.

(٣) كلمة المرقد مبيته استقامها الحضراوى من سلفه ابن عبد الشكور.

ورحمة الله وبركاته - اعلم أن قصدي آخذ جلة، واستعديت لها بالسلاح والعدة، وخذلت بهذا النادى نفد رادى، فخذلى بخمسة ريال دقيق وخمسة ريال عَليق، وخمسة ريال سمن، فلربما يطول علينا زمن الحصار، يلحقنا من عدم الزاد مضار، وأرسل لنا قدر مائة سلّم ننقز عليها السور، ونهجم على البئر المذكور^(١).

فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة، وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته، فأرسل له مع رسوله كل ما طلب وفاض به الأمر إلى العجب، فتوجه من الحسينية إلى أن وصل نصف طريق جلة، وحرّض على القتال جنده، ولم يتجاوز (الركانى) بجنوده حتى خفق ريح الدبور بينوده، فنادى عن الكفاح، وامتنع عن الرواح، ورجع ثانياً القهقرى، ونزل يَفْنَاءُ أُمِّ الْقُرَى، فسألوهم لم رجعت عن القتال أيها الأمير وأنت من رجال المحروب، وأهل التدبير؟ فقال: قد أسلم على يدى كل من كان بجلة وأطاع، ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع، فانظر لهذا الكلوب الأصمّع كيف يروم بهؤلاء الاوغاد أمراً دونه خراط القتاد، كيف وهو يعلم أن سعود ما قام عنها، ورجع، إلا بعد ما نصنع؟ مع أنه أحد جبابرة العالم، ولكن كما قيل:

ذُو الْجَهْلِ يَفْعَلُ مَا ذُو الرَّأْيِ يَفْعَلُهُ

فِي النَّائِبَاتِ، وَلَكِنْ يَعْلَمُ افْتِصَحًا

وفى شهر محرم أيضاً من سنة ١٢١٩ أقبلوا لقتال أهل جلة المسلمين أعداء المؤمنين، فأحاطوا بجلة وأطرافها أراذل الأعراب وأجلائها، فنادى شريف مكة سيدنا الشريف غالب - وكان قد ملكها - على سكان البلد الحرام يحمل السلاح، والخروج إلى الزاهر (نفي عام) فخرج الناس على طبقاتها إلى الزاهر، حاملين السلاح، يسيئون من وقت المساء إلى الصباح، حتى مضى لهم سبع ليال، فتحقق انكسار فرقة الضلال، بوصول السيد عبد الله ابن شنير مباشرة بتحقيق الخبر على (أن) اثني عشر ألف مقاتل أنسخت بذلك الساحل، وأحاطوا بالسور، وفى كل يوم يحملون على البلد حملة واحدة، ولم يجردوا من الله مساعدلة، فيعودون إلى الخيام، فإذا قتل منهم خلق كثير، ينفرون كنفرة الحمير، ويقع

(١) لا شك أن هذا الكتاب مخنق وليس صحيحاً، يدل على ذلك أسلوبه وهو منقول عن كتاب ابن عبد الشكور.

عليهم في اليوم التالي كالاول من زيادة أعمال القنبرة والمدفع، حتى أفنى منهم جملة، حتى مضى لهم ثلاثة أيام فارتحلوا بالويل في جنح ليل، وامتلات من قتلاهم الحفر، فتوجه ابن شقبان على طريق الوادي وأصبح بالمضيق، وأخذ عثمان طريقاً غير هذا الطريق.

وفي ثمانية عشر من شعبان سنة ١٢٢٠ في أوان الترحيم أناخ على ساحل جدة المارق من الدين المضايقي عثمان، بجملة من العريان، وكان وروده إليها غدرًا واختلاسًا، قبل أن تَهْبُ أَعْيُنُ الحراس من النعاس، لكن أخطأت أسنة الحضرة وما رجع منها إلا بالخيبة والحسرة، فقسم قومه من ثلاث جهات، وجعل خلفهم الخيل حتى التصقوا بسور البلد وقد صبحوا ومعهم كثير من السلاالم وقربوها، ومعاول من الحديد لأحجار السور لينقبوها، ثم صعد جانب منهم على تلك السلاالم فرقى، ولم يكن إلا كلمحة قبل أن يتكاملوا عليها حتى ضربت عليهم المدافع والقناير، حتى انهزمت الفئة الظالمة - ومات كثير منهم - إلى مخيم عثمان بالخيبة والخسران.

ثم عاد عثمان العنيد بجيشه إلى قرية المدرة، وأعمل رايه في مكيدة مبتكرة، فجعل يرأسلُ العريان من كل مكان، فكروا عليه حتى امتلأ الوادي، وكلما اجتمع عليه ناس في هذه المدة يرسله إلى طريق جدة، وأبقى لمحاصرة جدة واهس شيخ زبيد، فكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين، حتى وقع الفناء منهم في التكاثر اللين يجمعون الحطب والحشيش كما قيل:

يَعْدُونَ قَسْلَ الْمُسْلِمِينَ تَقَرُّبًا
وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ التَّقَرُّبُ بِالْبَعْدِ

وكان قد اشتد الحصار على مكة وغلا الاسعار وعُدِمَ القوت وفنى الموجود، حتى أكل الناس الجلود، فبلغت بمكة الكيلة مشخصين، من الحب والرر، وقس على ذلك.

ثم إن الشريف غالب أمير مكة وَسَطَ ناسًا للصلح، وأن يدخل تحت أمر سعود، ورأى في ذلك إحياءً لأهل مكة من الهلاك والجوع والحصار، فتم ذلك وكان، ثم فرَّق جنده الأتراك وغيرهم على ممالكه كالبنج واليمن وسواكن ومُصَوِّعٍ وغيرها، ونزل

هو وعبدى باشا، وإلى جدة، وأرسل مصطفى كتحدا جدة نائباً على البندر، يجمع العصور.

ثم فى تسع وعشرين محرم سنة ١٢٢١ أرسل إلى بندر جدة أربعين خيالاً من الأتراك مع تفقجى باش، وعين لهم ما قرره من المعاش، فما زالوا بساحتها مقيمين، خمسة أشهر بشغرها مرابطين، ثم لما اطمأن على رعيته من الفتن، وسكن روعهم من المحن، عن له أن يتوجه لإصلاح بندر جدة وتحصينه بالخندق والصور، فتوجه من مكة إليها فى غرة صفر، وفى اليوم الثانى صبح البندر فنزل فى دار الوزارة، ومستقر الإمارة.

وفى يوم الجمعة رابع شهر صفر نهى عن شرب الدخان بجدة فى الأسواق، وأمر بمنع بيعه فى الدكاكين على الإطلاق، لأنه كان من جملة ملهه الوهلبيين.

ثم أمر بعمارة الخندق ورأى أن عمله بالمساحى صعباً على الفعلة يحتاج إلى مدة مطولة، فاختار بنيانه بالبقر أسهل وأيسر، واشترى ثمانين ثور، لنفى التعب والجور، وجمع المعلمين أهل الهندسة والصناعة، وجعل أربعين يشتغلون من جهة الشام، وأربعين من جهة اليمن، فشرعوا فى تكثيره كما أمر، من أول شهر صفر، وما زالوا عليه مجتهدين شمالاً ويميناً، إلى شهر جماد الثانى، وهم آخضون فى تشييد تلك المباني، ثم لم يبق للشغل بالبقر محل، لغشيان الماء باطن الخندق، ووجدوا حجراً جهة الشام قدر مائة ذراع يقال له: المتقبة لصلابة أحجارها متصعبة، فأمر الحجارين أن يفقشوها بمعاول الحديد، ويحرقونها بالنار، وما زالوا مجتهدين الاجتهاد التام، إلى آخر العام، فجاء كما تراه خندقاً يروق المخاطر ويشوق الناظر.

أقول: والآن قد انسدت وانهار عليه التراب، ولم يبق له إلا الآثار، وكانت قد تحصنت البلاد به غاية التحصين وتمكنته نهاية التمكين، وانقطعت آمال العدو عن المطامع، كما هو نص فى الواقع.

وفى يوم الأحد ثانى جماد الثانى سنة ١٢٢١ أمر ببناء برج على نفس باب (البغاز) المسمى بالعلم يمنع الدخول إلى المرسى إن قصده عنوة، فبنوا الأساس حتى اعتلى عن وجه الماء ثم تركوه إلى ما.

وفى ثمانية عشر صفر كان وصول حمد بن ناصر ومعه أهل الدرعية من رؤساء الفتنه الروائية، فلما وصلوا إلى مكة بكتاب من سعود، وكان صاحب مكة بجدة فزّلوا إليها لملاقاة الشريف، ولإظهار ما جاءوا به من الإفك والتزييف، فاتفق الصلح بينهما، وزال الإيهام واتضح الأمر اتضاحاً تام، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش فى الحال، وقرأ رسالة جدّه التى يُكفّر فيها المسلمين^(١)، وأمر الناس وتجار البلد، وسكانها وساداتها وأعيانها، وما زالوا يحضرون قراءتها حتى أتمها، وخلط فيها ابن عبد الوهاب، وأثر الخطأ على الصواب، وهى فى الحقيقة هذيان، يضحك منها الصبيان، تلخيص ما فيها: تكفير جميع من فى الأرض بالطول والعرض.

وفى يوم خمسة وعشرين من شهر صفر أمر بهلم قبب الصالحين، لتطيب نفوس أولئك المعاندين، وأمر على أهل جلة بالإمساك عن شرب التبنك، وكل ذلك تسترا، ومداوة لإخماد نار الفتنة، وما أحوج الناس على طاعتهم على مثل هذا المقدار، غير ما وقع لبلد الله من الحصار، ولأفمعاذ الله أن يرتضوا بالدخول فى دينه المعوج، والخروج من الدين الحنيف الأبّج^(٢).

وأمر الشريف بإبطال نُدب نوبته^(٣) ونوبة والى جده حتى يفرج الله هذه الشدة.

(١) يقصد رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، وهو لم يُكفّر إلا من كفّره الكتاب والسنة، كما يعرف ذلك من اطلاع على مؤلفاته ومؤلفات أنصار تلك الدعوة السلفية والقول بأنه يُكفّر المسلمين فرقة قديمة، تصدى للرد عليها علماء الدعوة الإصلاحية منذ عهد الشيخ، رحمه الله، إلى هذا العهد.

والشيخ حمد بن ناصر بن معمر الذى تولى قراءة تلك الرسالة من كبار علماء الدعوة السلفية وهو الذى تولى مناظرة علماء مكة فى ذلك العهد حتى أقنعهم بالحجة والبرهان بصحة تلك الدعوة الإصلاحية، وأنها حقيقة الدين الإسلامى، كما أوضح ذلك فى رسالته «القواكه العذاب» المنشورة فى كتاب «الهدية السنية».

(٢) الحضراوى من أولئك الجهال بحقيقة دعوة الشيخ محمد، رحمه الله، فهو لم يأت بدين جديد، وإنما جاء مجدداً للدين الإسلامى الحنيف الذى ألصق به الجهال من الخرافات والبدع وأمر الضلال ما جعله يبدو غريباً على الحضراوى وأمثاله، كما جاء فى الحديث الشريف: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

(٣) يقصد الموسيقى التى تلقى له أو لوالى جده.

وفى سنة ١٢٥٢ كان أول وصول قنصل الانكليز بجدة وتوطنه بها، ونصب له بها (بنديرة) وهى أول بنديرة^(١) نصبت بجدة، ولم يعهد توطنهم بها قبل ذلك.

وفى سنة ١٢٧٤ كان بها فتنة عظيمة وهو أن أبناء إبراهيم جوهر تخاصموا مع صالح جوهر، كانوا رعية الانكليز، فأحب صالح جوهر أن يكون رعية للدولة العلية لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (سورة المائدة: ٥١) وأدار (بيرق)^(٢) سفينته عثمانى، ضداً فى أبناء إبراهيم جوهر، والحاج فرج يسر، كونه كان مُعَصِّداً لهم، فأشار الحكومة فى ذلك، أى على علامة سلطان الإسلام، وحامى حى بلد الله الحرام، ومدينة النبى عليه الصلاة والسلام، فحين رأى القنصل ما ذكر، أرسل لأحد قباطنهم، وأمره أن ينزل البيرق ويضع بirq الانكليز محله ففعل، فخضب حينئذ القنصل، وأرسل إلى صالح جوهر، وحسبه لتعديه وخروجه على حكومته بغير أصول عنده، فاغتاض قائم مقام جلة لذلك وأرسل لكبير الحضارم: حيث لم يكن عندى بجدة عساكر بكثرة، فخلّى جملة من الحضارم، بالسلاح يمرون على بيت القنصل ترهيباً له، وهذا من سخافة عقل القائم مقام، وعدم درايته بأصول الأحكام، وأن العامة والرعاع إذا قامت لا يردّها شيء.

وكان ذلك القنصل المذكور أحق من هَبْنَقَة، وأشأم من طويس^(*)، حين مدَّ يده للبيرق وقلعه، ودَعَسَهُ وقد رام، وما خشى الحجة والالتزام.

وفى الحديث: «الفتنة نائمة، ولعن الله من أيقظها»^(**) أو كما قال - فحين سمع الرعاع من الناس، والغوغاء هذه الفعلية، أخذتهم دائرة الغفلة، وربما كانت تتداوى هذه الأمور بأقل من ذلك، ولكن المقلود يدور، والله عاقبة الأمور، كما قيل:

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَأْمُرَ بِأَمْرٍ
وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وَيَصَرٍّ
أَصَمَّ أَتْنِيهِ وَأَعَمَّى قَلْبَهُ
وَسَلَّ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّمَرُ

(٢) البيرق: العلم.

(١) البنديرة: العلم.

(*) انظر فى أشأم من طويس مجمع الامثال للميداني ج ١ ص ٢٥٨.

(**) أخرجه صاحب اللكنز برقم ٣٠٨٩١ وعزاه للرافعى.

حَتَّى إِذَا أَنْقَضَ فِيهِ حُكْمَهُ
رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيُغْتَبِرَ
فَلَا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى؟
فَكُلُّ أَمْرٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ

فاحتزم أهلُ جدة والحضارم، وبعض من المولدين الأجرام، وصاروا قتلا ونهباً في كل جنس يخالف دين الإسلام، ولم يدروا عن شروط المستأمنين وأهل اللمة والمعاهدين، في دار الإسلام، وأنه لا يجوز التعدي عليهم شرعاً، وإن كان المذنب واحداً فما ذنب الجنوس الآخر ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ (سورة الفرقان: ٤٤) فثارت الفتنة ونهبت أموالهم بعد اللجج كأن لم يكونوا.

وكان الباشا والى جدة وهو محمد نامق باش مكة المشرفة، حتى خلت جدة من الفرنج أجمع، منهم من أسلم، ومنهم من أسر، ومنهم من تردى وقتل الجميع، ثم بعد شهر أو أريد أتى مركب فرنج حربي، ورمى بالقلل على جدة، ففي ذلك اليوم كم من هارب، وكم من خارج من محلّه، وصنفت أهلُ جدة هاربين على مكة ونحوها، ولم يصب البلد من قتلهم شيء غير صهريج أتت عليه قلة، ولأن قلعة جدة لم يكن عندهم أمر بالرمي على المركب المذكور، وإلا كان أهلكوهم من أول وهلة، ثم انصرفوا بعد نزول الوالى، وبعض من أكابر أهل مكة ورؤسائها، وساسوا الأمور، وأخذوا عليهم مكاتبة بفعلهم تعدّهم، وذهبوا إلى حالٍ سيئهم.

ثم بعد أيام قلائل أتى أمر من مولانا السلطان عبد المجيد، برّد أموالهم والقصاص ممن فعل بهم، سياسة شرعاً لكونهم من أهل اللمة، فأخذ الوالى المذكور من أهل جدة، والمولدين بها، اثنى عشر رجلاً، قطع رؤوسهم ثم الشيخ سعيد العمودى، لكونه شيخ الحضارم، وعبد الله أغا فران محتسب جدة، كذلك قطعت رؤوسهما بالبئط، وأخذ جمع من أهل البلد والعامّة نحوكم من أربعين رجلاً سَفَرُوا إلى (الألمستنة) ثم أطلقوا بعد مدة ورجعوا سالمين، ثم أخذ تجار جدة وشيخ السادة والقاضى وسفّر، فرجع القاضى بعد سبع سنين، وبعضهم توفوا بتلك البقاع، والحكم لله يفعل ما شاء، وكانت أحوال مزعجة

لا يطيق القلب سماعها، تحتاج إلى مجلدات، وإنما ذكرت هذه زيتها، والله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي سنة خمس وسبعين ومائتين وألف كان أول سنة مجيء محمّل أهل مصر، من طريق البحر على جدة، ثم يطلع من البحر بموكبه من جدة إلى مكة، وهذا لم يُعهد سابقاً أبداً مطلقاً، وذلك بأمر والي مصر محمد سعيد باشا، حتى أهلكه الله بعد ثلاث سنوات سنة تسع وسبعين، رجع المحمّل من البر على عادته من مصر إلى مكة.

وفي تلك المدة كثرت مراكب (بوابير) البحر في بحر القلزم من جدة إلى السويس، حتى بلغت إلى ثلاثة عشر بابوراً، وهي للحجاج من أعظم المنن، لأنّ الغالب لمن ركب فيها السلامة [١] فجعل والي مصر وكيل (الكبانية) ببنلر جدة المحمية رئيس التجار، معدن الفخار الذي رفعه الله بأعلى بساط، الأمير عليها الشيخ أحمد المشاط، حفظه الله، فكان يسوس أومرها، وخصوصاً يرأف ببضائع التجار مع شدة أمره على المتوكلين، وبالحجاج المسافرين، بخلاف غيره من الأمراء فإنهم لما أمروا أكلوا البراطيل والرشا، وراودوا على حجاج بيت الله حيث لهم جواسيس على الحجاج (إن كان تبغاً تنزل قبل غيرك وتسلم، هات النفر ديناراً رايد على الكرا) فتجارتهن خاسرة، ويبيعتهن بايرة، ولقد مدحت الشعراء هذا الأمير بقصائد أرسلت إليه من مكة ومن جدة ليس يحويها هذا السفر، فأجار الوفاة، وأنجز السداد، ألهمنا الله وإياه الرشاد.

وفي سنة ١٢٨٠ جددت عمارة المسجد الذي على البحر المعروف بمسجد عكاش لأنه من المساجد القديمة، وأتقن وأحكم، وكذا الميضأة التي هي بجانبه، وكذلك ما اندرس من المسجد الذي بالقلعة، ويعرف بمسجد عمر.

وفي سنة ١٢٨١ في شهر صفر ورد إلى جدة عساكر مصرية عزيزية، وأقاموا في محل (القشلة) الخارجة، فقل الماء على أهل جدة وضاق بهم ذرعاً، كما قيل:

مَنْ غَصَّ دَاوَى يَشْرَبِ الْمَاءِ غُصَّتُهُ

فَكَيْفَ يَعْمَلُ مَنْ قَدْ غَصَّ بِالْمَاءِ

(١) كلمة غير واضحة في الاصل.

واحتاج أهل جلة والقاطنين بها ذلك فأبعدهم عنها في محل يسئهم وبين جلة ساعة ونصف عند آبار عذبة .

وفى سنة ١٢٨٣ كان قائم مقام جلة (نورى أفندى) رجل أصله من (الارانطة) كان كاتباً على (المرضى) وقيل على القرابة الأرانطة ثم صار على شونة مكة كاتب، وكان فى ضيق من العيش فساعده الأقدار فتولى قائم مقام الوالى جلة ثم جمعت له نظارة شونتها مع القائم مقام فمكث بها مدة سنوات فظهرت صولته وهابه الناس، ثم إنه انقطع لتمدن البلد فقطعها من الأرض طول ذراع (٢) من سائر البلاد، وشغل فيها أهلها، والذى لم يشتغل يؤجر بدلاً عنه وسدّ شيئاً من ساحل البحر، من ناحية (الكمرى) حتى أنه دخل فى البحر نحو خمسة عشر ذراعاً من كل ناحية من الطول، وأما العرض فجعلها نظير (مينة إسكندرية) وأقن بناءها وكانت أولاً (السنايك) تلتصق فى الزلة، والبضائع تصير متراكمة وربما يثلف بعضها، وفى وقت الحج يضيّق على الحجاج العبور، ثم من الجهة الشامية هدم السور وأدخله إلى جهة البحر، وسدّ من تلك الناحية وساوى بين الأرض، ثم إنه سقف جميع أسواقها حتى صار الإنسان لا يمشى إلا فى ظل، وأمر بهدم العيش من الدكاكين والقهواى، وجعله كله صندوق، فصارت من قبيل (غورية مصر) والسكرية، وجعلها ميزانا واحداً، وكان قبل ذلك دكان خارج، والآخر داخل، فوسع فى الصنادق كل ذلك بالقوة القهرية، وبالمداواة السياسية، وأمرهم بنقش الأخشاب، وكفّ أهلها عن المقاتلة مع بعضهم، وطار صيته، ودخلت هيئته فى قلوب الرعية، حتى صاروا يخوفون به الأطفال، وأمر بقطع (كناوى) من القمام على بعضها كأمثال الجبال، فسدّ بها البحر من ناحية الفرضة ثم من ناحية المعمار عمل سوقاً وبنى فيه دكاكين صغيرة وسقفه بالأخشاب وروفته يعرف بالنورية، وجعله للخضرية والجزارة، وجعل فيه قهوة لطيفة، وكان طلب منى تاريخاً لهما السوق فقلت:

عَرَّجْ عَلَى أَرْجَاءِ جِلَّةِ يَا فَتَى

وانظر إلى السُّوقِ الجديدِ المُشْبَتَا

طالع مسعود اليمن فوق بساطه
 يا حسنه لما ربنا متلفنا
 قد أسس البنيان (نورينا) الذي
 ما مثله في جده أبداً أتى
 (قائم مقام) يا له من همّة
 في فعله الخيرات صيفاً والشتا
 في مدة السلطان عز نصره
 (عبد العزيز) البرّ، لى كُنْ منصتاً
 وأمير مكة والحجّار بأسره
 مولانا عبد الله سيدنا الفتى
 و (وجيه باشا) واليا شيخ الحرم
 من نال بالتحقيق قولاً مثبتاً
 نورية ميمونة في بلدة
 تحوى رموز الدهر فى رسم متى
 يحبسوه ربي من مزيد عطائه
 بعد الوفاة من الحسان الموقنا
 لما أنتموا غرّمه أرخ يقف
 (نورى أفندى) قدّ جناه وما عتى

ثم جعل سوقاً خارج باب مكة من الصندقة الأخشاب بقهاوى، وغير القشاع.

وفى الحقيقة كانت جدة قبل هذه العمارة لا يطبق الإنسان فى مدة الصيف أن يخرج من بيته من رائحة النّدى الكريهة والزناخة والشمس المحرقة والعشاش، والقشاع، وغير ذلك فصارت كأحد المدن الفاتقة.

ثم إنه شغلّ الناس فى عين أدخلها لها، وكانت قديماً ثم بطلت، ثم انهدم مجراها،

فأمر على الناس وأهل الحواري في الشغل فيها حتى أدخلها إلى البلد، وجعل لها (بارانا) للسقاية) في ناحية العلوى، ثم أجراها إلى الفرضة حتى نصب في البحر، ثم ضعفت وقل ماؤها لكنه يجرى قليلا، فانتفعت به البلدة وأهلها، وإن كان ماؤها غير عذب، لكنه يعين على المهنة والغسيل وغير ذلك.

ثم في سنة ست وثمانين ومائتين وألف عمل صهريجا كبيرا للدولة العلية باسمها أكبر ما يكون في صهاريج جدة، وكل محبوبس يشتغل فيه، وأتمه.

والحاصل أن الرجل لما اجتهد في عمارة البلد ذلَّ له أهلها وهابه رعاها، لسطوته وتجبره وتكبره - ترادفت عليه الرتب، وساعفته الأقدار، حتى صار في رتبة (ميرميران باشا) فكان يقال له: (نورى باشا) ونودى باسمه وخوطف بذلك وصار له معارف من رجال الدولة ومكانة وذلك لنسب كل قادم إلى الحج وغيره يجرى عليه الضيافات، ووضع يده مع التجار على سائر المرائبات، حتى نَمى ماله، وترقى في حاله وجلبت إليه الهدايا والخيل المُسوَّمة والعربة وغير ذلك إلى أوائل سنة ١٢٨٨ عزل عنها وتولى محله (قاسم باشا) والياً عليها قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠) ومع ذلك كان لا يوقر كبيرا ولا يرحم صغيرا، فهذا ترقى في أسرع مدة، ولكنه صنع بعض خيرات بجدة، وكفَّ العامة عن التعرض لبعضهم ولغيرهم، وسوى بين غنيها وفقيرها في المقام، حتى تمَّ العام.

وبجدة من خارجها قسلة متسعة قريبة من ضريح السيدة حواء، للمساكن الشاهانية، كان بناها محمد على باشا، والى الديار المصرية، وهى مكيئة فى البنا، وطواحين الهواء ثلاث كان بناها المذكور أيضا.

وأما سقيها فمن ماء المطر، ولهم خارجها صهاريج للتجار، تمتلئ من ماء المطر وبها حفر أيضا تجمع الماء أيضا.

(وإسكلتها) يمر عليها من بضايح الهند واليمن ومصر وسواكن ومصوع وبلاد السين (٢) والصين والجاوى، قيل: إنها أكبر إسكله فى بلاد الاسلام بعد إسكله إسكندرية، وللبغار باب لا يمكن دخول مركب بغير ريان من أهلها، محكم بابها بين شعبتين عليهما

علمان لمعرفة الدخول، بصناعة يعرفها أهلها، فهي للتجار دار مقام، وللمفاليس سجن لا يرام كما قيل.

وَجَدَّةٌ لِلدَّوَى الْأَمْوَالِ كَيْسَةٌ
وَكَلِمَةُ الْيَسْرِ دَرُّ الْهَمِّ وَالضُّيقِ
أَقَمْتُ فِيهَا مُضَاعَاً بَيْنَ سَاكِنَيْهَا
كَأَنِّي مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ رَنْدِيْقٍ

وإلا ففي الحقيقة فهي أعظم ثغر من ثغور الإسلام، فكم من وليٍّ وعالم وفاضل يريد الحج وقضاء المناسك يَمُرُّ عليهما، ويدخل من «إسكلتها» كما هو الغالب، لأن الحاجة كلهم أضياف الله تعالى، وفي كنفه وأمنه، فهي ممرٌّ للأبرار، ومقرٌّ للتجار، ضاعف الله فيها البركات، وأظهر فيها الخيرات.

ومنها: أن الله تعالى جعل أكثر رِزْقِ أهل الحَرَمِ من جهَّتِها، فتراهم ينظرون ويتطلعون ما يقبل من جهَّتِها.

ومنها: أن الله تعالى جعل سُقْيَا أهلها من ماء السماء وبركاتها وليس بها بئر ولا نهر عَذْبٌ غير المعطر، ولهذا تراهم غالباً في ضيق من الماء حتى أن بعض الفضلاء هَجَا أهلها نظراً لبعض الميل، وبعض المنكرات للاتعاظ والاستيقاظ، فقال:

يَمُرُّ السَّحَابُ عَلَى جَدَّةٍ
بِمَاءٍ مَعِينٍ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
يُرِيدُ الْهَبُوطَ فَلَا يَسْتَطِيعُ
لِمَا حَلَّ فِيهَا مِنَ الْمُتَنَكَّرَاتِ

ولقد شَطَرْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مع تذييل رائد:

يَمُرُّ السَّحَابُ عَلَى جَدَّةٍ
لَمَلَّ يَكُونُ بِهَا الْأَقْبَرَاتِ

فلا يُمطرون ولا يسمحن
وماء مَيعِينٍ من المُنْصِراتِ
يريد الهبوط فلا يَسْتَطِيعُ
لِقَوْلِ إِلَهِنَا فِي الْمَحْكَمَاتِ
ولو أن هل الثُّقَرَى اتَّقَوْا
لما حلَّ فيها مِنَ الْمُتَكَرِّاتِ
فَلَا تُعْجَبَانِ بِأَحْوَالِهِمْ
وَلَا تَأْمَنَنَّ لِتِلْكَ الْجِهَاتِ
فَيَا أَهْلَ جُلَّةٍ تَوَبُّوا قَرِيبًا
لَعَلَّ يُصِيبُهَا مَاءُ الثُّقَرَاتِ

وقد قلت في ذلك مادحا لماء المطر وما هنالك، فقلت أيضا:

إِذْ رُمْتَ إِدْرَاكَ السَّعَادَةِ وَالْمُنَى
وَأَرَدْتَ إِقْلَاءَ الْقِسَاوَةِ [وَالْعَنَاءِ]^(١)
فحكيت بالماء القراح بجدة
ماء السماء وأمه المستوطنا
واشربْ هَنِيئًا مَيِّدِي لَكَ بِالشِّفَا
مع صبح عافية ثقيلك من : [ضَبْتِي]^(١)
واطرب على شجن البحار بعيها
تلقى سرورا في حيور : [وَالْهَنَاءِ]^(١)

وأما أسواقها فأولها وأعلها سوق النداء، وسمي به لنداء ما يراد منه، ووجوده فيه
وتطريه، وفيه يقول الفاضل الأريب، والجهيز الكامل الكاتب الأديب الشيخ محمد
الفطنجي، حفظه الله:

(١) لم تظهر قوافي الآيات الثلاثة في النسخة المصورة، والإضافة يستقيم بها الوزن والمعنى.

سوق الندى ما أُلْقِيَ
يا حُسْنَهُ زَايِدُ كَمَالُ
رُمْتُ اللَّهَابِ فَجُزَّتْ
فَوَقَعْتُ فِي شَرِكِ الْجَمَالِ
ولقد شَطَرْتُ هَلَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقُلْتُ أَيْضًا:

سُوقُ النَّدَى مَا أُلْقِيَ
يُشَقِّقِي بِهِ الدَّاءُ الْعُضَالُ
إِنْ رُمْتُ قَطَفَ عُصُونِهِ
يا حُسْنَهُ زَايِدُ كَمَالُ
رُمْتُ اللَّهَابِ فَجُزَّتْ
مِنْ أَجْلِ خَشْفٍ كَالْهَلَاكِ
وَوَقَعْتُ أَنْظُرُ بَلَرُهُ
فَوَقَعْتُ فِي شَرِكِ الْجَمَالِ

أقول: وهو سوق مستطيل، في غاية اللطافة، وفيه بعض أحوشة التجار وغيرهم وأنواع الأقمشة والأطعمة.

وكذا مسوق الجامع وسمى باسم الجامع المعروف بمسجد الشافعي، وهو من المساجد الشهيرة القديمة، وهذا السوق تقابله وأنت داخل من باب مكة، على جهة اليمين يسيرا، مستطيل أيضا، وفيه يقول الشاعر:

وَيْسُوقُ جَامِعِنَا اللَّطِيفُ تَزَحَّرَتْ
أَرْجَاؤُهُ بِحِمَامَةٍ وَقِمَارِيَا
من كل غَانِيَةٍ حوراء قاتله
بالأنس فإِنَّكَ تَشِيرُ لِإِلِيَا
الدر منحدر والبسحر منفرد
في وسطه رهج في عرفه عليه كماليا

وقلت فيه أيضاً:

- * عجباً لسوق الجامع ولأنسه المتجامع *
- * يحويه كل لطيفة مع كل حلو خالع *
- * الله معلم أتتى أهوى لقاء الجامع *

ومنها: سوق البُنت، وهو سوق ظريف مجمع الصيارف، وفيه يباع السمك الطرى والتمر الصفري المُلَيَّف، وأنواع مَبَحِ الْيُسْرِ والنَّقْل، وغير ذلك، ويحداه خان صغير بسقيفة، يوصل لسوق الحَرَّاج، وفيه قال الشاعر:

- * البُنتُ سوق لطيف مُحَرَّكٌ لِلسَّوَائِنِ *
- * الأَصْلُ فِيهِ ظَرِيفٌ وَالْأُنْسُ فِيهِ مَسَاكِينُ *
- * عند العوام خريف والحوت فيه رواكِينُ *
- * والتمر فيه منيف نحو الصيارف ساكِينُ *
- * يفتديك منه رغيف بلين البطن لكن *
- * يكون معك حريف يأخذ ويعطى بواطن! *

والحاصل أن هذا السوق في أيام الموسم يكون في الأزدحام الغاية مع كثرة الحجاج. ومنها: سوق بَرَّة - أي خارج البلد - وهو خارج باب مكة، وهو سوق طريف محتوى على أُنْبِيَّةٍ ودكاكين، وسمى بذلك لكونه خارج البلد، وفيه يقول الشاعر:

- ولسوق (بَرَّة) أرجو برّاً دائماً
- يزكو وينمو برّه المستواثر
- لله در السوق في غسق الضحى (٢)
- دوما دواما نشره المتكاثر
- من نحو مكة سوق جلة قد غدى
- يا حسنه يا أنسه الاجتماع

ومنها: سوق الخاسكية، وهى شفايق نفيسة، وأحوال ركية، منيسة، قد تحلى عليها القبول، وتداولت الوصول والفصول، وفيها يقول الشاعر:

(خاسكية) بجلة منعمة

جلأسها كروضها فأنعم

وسوقها مزخرف منبسط

أرجأؤه مزخرف بالنعم

كيف لا، ولأجل مكة شرفت جدة، والفرع تابع لأصله، وقد تشرفت مجامع جدة لمكة، وما زالت مواسم المجد للذكرها متجملة، ومباسم البلاغة بشفاه فرائدها مُقبلة، وقُبُلُ الفصاحة بوجوه قلالدها مُستقبلة، لا يعرف لها مقتضيا ولا يعلم لها مستوجبا، إلا ما اشتهر بين الحاضر والبادى، حتى أذاها الوليُّ وأذن لها المعادى، من إثارها الخير بعد اختيارها، وإيلاء الصنائع إلى مستحقها، وما زالت نسيم بوارق مأثرها التى راقت، ويرود حدائق مفاخرها التى فاقت، شمول إحسانها المسفر عن فلق الصبح، ما استنفذ شكرها واستغرق وسعها، وفى فلك يدرها أقول:

يا شمسُ جدة حَدَّثْنِي تَرَى عَجِبَ؟

مما جنانى وناجى البحر من قلقه

وأما أحوشتها المحتوية على قصور عوالى، ومرافق ومراجع ومجالس، وغير ذلك فهى لا تحصر، وتكاد مع عظمها [تشبه] بمصر.

فمن أكبرها وأعظمها الحوش المعروف بحوش الشريف، وهو قريب من البُنْط، بناه مولانا الشريف عبد الله ابن المرحوم مولانا الشريف محمد بن عون أمير مكة والحجاز، وهو معدُّ للحجاج والتجار، مشتمل على محلاتٍ على نفيسة وقصور عوالى، رئيسة.

وقال الأديبُ محمد أفندى الساعاتى مؤرخنا هذا الحوش:

خَيْرُ الْبِنَاءِ الَّذِى عَمَّتْ مَنَافِعُهُ

كُلُّ الْبَسْرِیَّةِ مِنْ نَاءٍ وَمِنْ دَانِی

كَالرُّوضِ قَدْ سَجَّتْ وَرَقُّ الْوُثُودِ بِهِ
كَأَنَّهَا طَرَبًا تُنِي عَلَى الْبَنَانِي
الْعَبْدُ لِلَّهِ الَّذِي (١):

.....

بِتَاجِ دَوْلَتِهِ الْإِقْبَاضُ أَرْخَهُ:
(أَقَامَ هَذَا ابْنُ حَوْنٍ مَلْجَأَ الْعَنَانِي)

ومنها: حوش مثقال، وهو لأحد خواص الشريف غالب، أمير الحجار سابقًا.
ومنها: حوش الدولة، ومنها: حوش أبو اليسر، وحوش الصالحة وحوش عكاش
وحوش النخلة.

وجملة أحواشها تنوف على مائة حوش، مشتملة على قصور وبيوت مروقة وأكشاك
على البحر، من أنفسها كشك حوش الشرايبي، فهي نفيسة أنيسة، وفيها يقول الشاعر:

أَحْوَاشُ جِلْدَةٍ رَخِرْفَتِ
لَمَّا رَأَتْ جُلَاسَهَا
قَدْ رَقِصَتْ أَذْهَانَهَا
لَمَّا صَفَّتْ أَنْفَاسَهَا

وأما المساجد فأشهرها: مسجد الشافعي، ذكر ابن جبير في رحلته أنه رأى بجدة
مسجلين ينسبان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحدهما يقال له: مسجد الأبنوس، وهو
معروف، والآخر غير معروف (٢).

أقول: ولعله الذي يقال له الآن مسجد الشافعي. انتهى.

ومنها: مسجد عكاش، وهو من مساجد جلة القديمة.

(١) البيت غير واضح في الأصل.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.

وهذا المسجد هو الشهير بقول الغزالي في «الإحياء»^(١) في (باب السماع) والإمام عز الدين بن عبد السلام في كتابه: «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» عن طاهر بن بلبل الهمداني رحمه الله قال: وكان من أهل العلم والفضل أنه قال: كنت معتكفاً في جامع جلة على البحر فرأيت طائفة تقول في جانبي قولاً ويستمعون، فأنكرت عليهم بقلبي وقلت: في بيت من بيوت الله يقولون الشعر؟! قال: فرأيت النبي ﷺ في تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية، أي ناحية المسجد المذكور بجلة، وإلى جانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وإذا أبو بكر يقول شيئاً من السماع، والنبي ﷺ يسمع منه ويصغي، ويضع يده على صدره كالمتواجد، فقلت في نفسي: ما كان ينبغي لي أن أنكر على هؤلاء القوم الذين كانوا يسمعون، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ وقال: هذا حقٌ يَحَقُّ، أو قال: حقٌ من حقٍّ، شكُّ من الراوى. انتهى.

ومنها: مسجد الحنفى، وهو قريب من قصبة الهنود، وهو مسجد عظيم الفضل من المساجد القديمة أيضاً، تقام فيه الجمعة والجماعة.

ومنها: مسجد سيدنا عثمان بن عفان، جهة القلعة.

أقول: ولعله المذكور في قول ابن جبير بمسجد الأبنوس.

وكذا مسجد الباشا، ومسجد المغربى جهة باب مكة، ومسجد المعمار، وهو مسجد لطيف تقام فيه الجمعة أيضاً، ومسجد الحضارم وهو جهة سوق النَّدَا وغير ذلك.

وأما الزوايا^(٢) فهي تنوف عن المائة، منها: زاوية السادة الشاذلية، نفعا الله بهم،

(١) إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٢٣.

(٢) معروف موقف علماء المسلمين المحققين من الزوايا ومن أصحاب الزوايا، فقد ابتلى المسلمون بطائفة من هؤلاء انتسبوا للتصوف، وهم على جانب عظيم من جهل أصول الإسلام، وعن طريق هؤلاء وأمثالهم انتشرت البدع والخرافات. وقد طهر الله - وله الحمد - بلادنا - من هذه الزوايا، ومن جميع ما ابتدعه أهلها في الدين. والغاية من دراسة التاريخ العظيمة والاحتياط، وهذا مما يدفع إلى نشر أمثال هذه الكتب على ما فيها للاعتماد والعبرة، وإدراك ما أنعم الله به علينا من نعمة أعظمها السلامة من البدع والخرافات (حاشية المطبوع).

بحارة اليمن، بناها العارف بالله تعالى شيخنا السيد محمد بن محمد الفاسي الشاذلي
المغربي، في سنة تسع وسبعين تَمَّ بناؤها، وهي وراء القشلة من جهة البحر، يذكر فيه الله
تعالى، وهو مجمع للفقراء الصادقين، والأولياء العارفين، نفعا الله بهم أجمعين.

وفي سنة ثمانين زيد فيها البناء والإتقان فأرسل إليها شمس الأقران العالم العامل الأخ
في الله سيدي محمد ابن الفاضل العلامة سيدي الشيخ محمد العزب الشافعي المدني عالم
الملئحة المنورة تاريخًا يقول فيه:

إِنْ جَنَّ لَيْلُ الْحَادِثَاتِ وَعَسَمَا
وَالْقَلْبُ مِنْ رَيْنِ الْمَعَاصِي قَدْ قَسَا
وَعَجَزَتْ عَنْ إِصْلَاحِهِ وَعِلَاجِهِ
وَتَزَايَدَ الْوَجْدُ الشَّدِيدُ مَعَ الْأَسَا
لَانْتَهَضَ إِلَى غُرُوثِ الْأَنَامِ الْمُتَقَى
فَبَرِّشْدِهِ صَبَحَ الْفَلَاحُ تَنْفَسَا
هُوَ شَيْخُنَا الْفَاسِي مُحَمَّدٌ مِنْ سَمَا
طَوَى لِمَنْ يَسْنِي سِيرَتَهُ انْتَسَا
قَطَبُ الْوَرَى لِلشَّاذِلِيِّ خَلِيفَةُ
يُحْكِي الْبَدُورَ إِذَا الدُّجَا قَدْ أَغْلَسَا
لَا غُرُورَ جَمَعَ الْجَمْعَ بَعْضُ صِفَاتِهِ
فَمَقَامُهُ فِي الْحَضَرَتَيْنِ تَقْدَسَا
شَمْسُ الْمَوَارِفِ وَالْحَقِيقَةِ وَالْهَدَى
قَدْ شَادَ رِيْعًا بِالْمَعَارِفِ أَنْفَسَا
وَبِهِ رَوَايَا الْعَارِفِينَ تَعَمَّرَتْ
يَكْفِيكَ رَاوِيَةٌ بِهَا قَدْ غَرَسَا
فَلَقَدْ كَسَتْهَا حُلَّةُ أَسْرَارِهِ
فَتَكَامَلَتْ أَنْعَمَ بِذَلِكَ مِنْ كَسَا

فَأَمُّ رَبَّاهَا وَالتَّمِيمُ لِي دَعْوَةٌ
 فَحَسَىٰ بِهَا يَحْيَا الْفَوَادِ عَمَىٰ ۱۱
 وَعَبِيدُكُمْ تَجَلُّ الْمَلَقُ بِالْعَزَبِ
 يَرْجُو يَكُونُ يَذْكُرَهَا مُتَأَسًّا
 أَنَّىٰ لَهُ أَنْ يَسْتَطِيعَ مُؤَرِّعًا:
 (وَعَلَى الثَّقَى بَيَانُهَا تَأَسًّا)

$$١٢٨٠ = ٥٢٢ + ١١٩ + ٥٣٢ + ١٠٧ =$$

فهرس القهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣ - فهرس الأعلام.
- ٤ - فهرس الأمم والطوائف والجماعات.
- ٥ - فهرس البلدان والأمكنة.
- ٦ - فهرس الأيام والغزوات.
- ٧ - فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب.
- ٨ - فهرس الألفاظ الاصطلاحية.
- ٩ - فهرس الأشعار.
- ١٠ - فهرس المصادر.
- ١١ - فهرس المحتويات.

١- فهرس الآيات القرآنية

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾	البقرة	١٨٩	١١
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	آل عمران	١٤٠	٤٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾	آل عمران	٢٠٠	٢٢
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾	المائدة	٥١	٤٣
﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾	الكهف	٤٩	٣٦
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	الشعراء	٢٢٧	٣٨
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُسَابِقُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾	الفتح	١٨	٢٣

٢- فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
١٩	«أربعة من أبواب الجنة فى الدنيا»
٢٠	«إن الإيمان ليارز إلى الحجار»
٢٢	«إن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه»
٢١	«إن الشيطان قد يئس من أن يعبد المصلون فى جزيرة العرب»
٣٣	«حجة لمن لم يحج...»
٤٣	«الفتنة نائمة ولعن الله من أيقظها» .
٢١	«لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب»
٢١	«لا يصلح ملتان فى أرض»
٢١	«لو عشت - أو بقيت - لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب»
٢٣	«مكة رباط وجلة جهاد»
٢٢	«من جلس على البحر احتساباً»
٢٨	«من رار والديه...»
٢٢	«الناظر فى البحر فى سبيل الله»
١٩	«يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جنة»

٣- فهرس الأعلام

- (أ)
 آدم: ١٤.
 ابن الأثير (عز الدين): ١٣.
 أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوى: ١١.
 أحمد المشاط: ٤٥.
 الأزهري: ١٤.
 إسماعيل بن يوسف بن موسى الجون: ٣٣.
 داود بن هاشم: الحسنى: ١٦.
 درة بنت أبي لهب: ٢٧.
 (ب)
 أبو بكر الصديق: ١٦.
 (ت)
 الترمذى: ٢٠.
 (ج)
 جابر بن عبد الله، المعروف بالحراشى: ٣٤.
 جابر الله بن فهد: ١٣، ١٥.
 جبريل، عليه السلام: ١٤.
 ابن جبير: ١٥، ٥٤.
 ابن جريج: ١٩.
 ابن جرير الطبرى: ١٤، ٢١.
 (ح)
 الحارث بن نوفل بن الحارث: ٢٧.
 أبو حامد الغزالي: ٢٠.
 ابن حجر العسقلانى: ١٩.
 ابن حجر الهيتمى: ١١.
 حسين الكردى: ٣٥.
 حواء: ١٤.
 (خ)
 ابن خلدون: ٣٤.
 ابن خلكان: ٢٩.
 الخواجا محمد بن يوسف الفارى: ٣٥.
 (د)
 (ر)
 الرشيد الخليفة العباسى: ١٦.
 (ز)
 الزنجبيلى (فقيه الحنفية): ٢٩.
 (س)
 سعيد العمودى: ٤٤.
 سلمان الفارسى: ١٥.
 ابن سيرين: ١٤.
 (ص)
 صفوان بن أمية: ٢٦.
 صلاح الدين ابن ظهيرة: ١٦.

فضل باعلوى: ٢١.

(ق)

ابن قلاؤس: ٩.

القطبي: ٣٤.

القليوبي: ١٧.

قيصر، ملك الروم: ١٧.

(م)

محمد بن الحنفية: ٢١.

محمد سعيد بشارة الخليلي: ٢٢.

محمد بن عون، أمير مكة: ٥٣.

محمد القفطنجي: ٥٠.

محمد بن محمد الفاسي الشاذلي: ٥٦.

محمد نامق: ٤٤.

محيي الدين ابن عربي: ٢٨.

مسعود بن حسن القناري: ٢٠.

معاوية بن أبي سفيان: ٢٢.

الميرغني: ١٣.

(ن)

نامق (باش مكة المشرفة): ٤٤.

نوري أفندي: ٤٦.

(و)

وامس، شيخ زبيد: ٤٠.

ابن الوردى: ١٣، ٢٤.

(ي)

يزدجر: ١٥.

(ض)

ضوء بن ملح: ٢٠.

(ع)

عبد بن كثير: ٢٠.

ابن عباس: ٢٠.

عبد الله، أخا فران: ٤٤.

عبد الله بن سعيد: ٢٠.

عبد الله بن عمرو: ١٩.

عبد الله العياشي: ٢٨.

السلطان عبد المجيد: ٤٤.

عثمان بن عفان: ١٥، ١٦، ١٨.

عز الدين بن عبد السلام: ٥٥.

على بن الصديق الجحنون: ٢٧.

على بن أبي طالب: ١٩.

على العقاب التونسي: ٣٢.

ابن عمر: ١٩.

عمر بن الخطاب: ٢١.

عمير بن وهب الجمحي: ١٧.

(غ)

الغزالي (أبو حامد): ٥٥.

السلطان الغوري: ٤٤.

(ف)

الفاسي: ١٣، ١٥، ١٩، ٢٧.

الفاكهي: ١٩.

ابن قرج: عبد القادر بن أحمد: ١١.

يفرقد السبخي: ٢٠.

٤ - فهرس الأهم والطوائف والجماعات ونحوها

- عربان ريبد: ٣٤.
- (١) المسامر الشاهانية: ٤٨.
- (ب) الارانطة: ٤٦.
- الفرس: ١٥.
- (ب) الأعراب: ١٦.
- الفرننج: ٤٤، ٣٥.
- (ق) الانكليز: ٤٣.
- أهل جلة: ٤٤.
- بنو القديمي: ٢٧.
- (ق) أهل الدرعية: ٤٢.
- قريش: ١٧.
- أهل اللمة: ٤٤، ٢١.
- قوم لوط: ١٧.
- أهل اليمن: ٢٧.
- (م) (ب) بيت المساوي: ٢٧.
- المغاربة: ٣٥.
- (ن) (ت) الترك: ٣٥.
- التقشبنديّة: ٣١.
- (و) التكارنة: ٤٠.
- الوهايون: ٣٦.
- (ج) الجراكسة: ٣٥.
- (ع) العربان: ٣٤.

٥- فهرس البلدان والأمكنة

- أبحر: ١٥.
- أرض الحبشة: ١٧، ٣١.
- الإسكندرية: ١٩.
- أم السمك: ٣٦.
- أيلة: ١٧.
- (ب)
- باب البغار: ٤١.
- باب الدومة: ١٥.
- باب الفتوح بجلة: ٣٦.
- باب الفرضة: ١٥.
- باب المدينة: ١٥.
- باب مكة: ١٥.
- باب المنطب: ٢٤.
- باب النصر بجلة: ٣٦.
- البحر الأحمر: ٢٥.
- بحر الأريسين: ٢٦.
- بحر القازم: ٢٤.
- بحر الهند: ٣٥.
- البحر الهندي: ٢٤.
- بغداد: ٢٠.
- بلاد البجة: ٢٥.
- بلاد الصعيد: ٢٥.
- بئر الحديبية: ٣٠.
- (ت)
- تهامة: ١٧.
- التيه: ٢٥.
- (ج)
- جبل السرة: ١٧.
- جُنة: ١١، ٢٠.
- جُنَيْلة: ٢٠.
- جزيرة العرب: ١٧.
- (ح)
- حارة اليمن بجلة: ٥٦.
- الحجار: ١٧.
- حَلة: ٣٠.
- الحسا: ٢٩.
- حوش الشريف: ٥٣.
- (د)
- الدجلة: ٢٠.
- الدرعية: ٤٢.
- دملك: ١٦.

- (ر) الرغامة: ٣١.
- (ز) زاوية السادة الشاذلية: ٥٥.
- (س) سلوم: ١٧.
- سواكن: ١٦، ٢٥.
- سرنلپ: ١٤.
- سورجلة: ١٥، ٣٤.
- سوق برة: ٥٢.
- سوق البنط: ٥٢.
- سوق الجامع: ٥١.
- سوق الحراج: ٥٢.
- سوق الخاسكية: ٥٣.
- سوق النداء: ٥٠.
- السويس: ٢٥.
- (ش) الشام: ١٥.
- الشعبية: ١٥، ١٧.
- الشميسي: ٢٣.
- (ص) الصين: ٢٥.
- (ض) ضريح السيالة حواء: ٤٨.
- (ع) عبادان: ١٩.
- عدن: ١٧.
- عسفان: ٢٥.
- عسقلان: ١٩.
- العقبة: ١٧.
- عقبة السوق: ٣٥.
- عيلاب: ٢٥.
- عين ملهر: ٢٥.
- (ف) غربية مصر: ٤٦.
- (ف) فران: ٢٥.
- فرضة عدن: ٣٤.
- (ق) قبر السيالة حواء: ٢٨.
- قرية المنيرة: ٤٠.
- قزوين: ١٩.
- قهوة أم اللود: ٣٠.
- قهوة التنعيم: ٣٠.

- قهوة سالم: ٣٠. مسجد سيلنا عثمان: ٥٥.
 قهوة المقتلة: ٣٠. مسجد عكاش: ٤٥، ٥٤.
 (ك) مسجد عمر: ٤٥، ٥٤.
 الكعبة: ١٧. مسجد المعمار: ٥٥.
 (م) مسجد المنرى: ٥٥.
 مدين: ٢٥. مصرع: ٤٠.
 مدينة القلزم: ٢٥. مكة: ١٣، ١٨.
 المدينة المنورة: ٣٥. مينة إسكندرية: ٤٦.
 مزدلفة: ١٥. (هـ)
 مسجد الأبنوس: ٥٤. حجر: ١٧.
 مسجد الباشا: ٥٥. الهند: ٣٦.
 المسجد الحرام: ٢٠. (و)
 مسجد الحضارمة: ٥٥. اليمامة: ١٧.
 مسجد الحنفي: ٥٥. اليمن: ١٥.
 مسجد الشافعي: ٥١، ٥٤. اليمن: ١٧.

٦- فهرس الأيام والغزوات

(ع)

عام الحديبية: ٢٣.

عرفة: ٣٣.

(ف)

فتح مكة: ١٧.

(١)

أيام الفتن: ٣٤.

(ب)

بيعة الرضوان: ٢٣.

(ح)

حنين: ٢٧.

٧- فهرست الكتب الواردة في منه الكتاب

- الإحياء للغزالي: ٢٠، ٥٥.
 إهداء اللطائف من أخبار الطائف: ٢٢.
 تاريخ جلة لابن ظهيرة: ١٦.
 تاريخ القطبي: ٣٤، ٣٦.
 الجواهر المعدة في فضائل جلة: ١١.
 حل الرموز ومفاتيح الكنوز لعز الدين بن عبد السلام: ٥٥.
 الخريدة لابن الوردي ١٣، ٢٤.
 الخصائص الصغرى: ١٥.
 الدور المنظمة في أخبار مكة المعظمة: ١٥، ١٨، ٣٣.
 رحلة ابن جبير: ١٥، ٥٤.
 رحلة العياشي: ٢٨.
 السلاح والعدة في تاريخ جلة: ١٦.
 السلاح والعدة في فضل ثغر جلة: ١١.
 السيرة المحلية: ١٤، ١٧، ٢٨.
 شرح لامية ابن الوردي: ٢٠.
 شفاء الغرام: ١٥، ١٩.
 عدة الأمراء والحكام: ٢١.
 عدة الإنابة: ١٣.
 العقد الثمين: ٢٢.
 القاموس المحيط: ١٣، ٢٠.
 لسان العرب: ١٤.

لسان الميزان: ١٩ .

معالم التنزيل: ١٧ .

المنسك لأبي ذر: ٣٣ .

نزعة الفكر في الحوادث والعبر: ٣٧ .

النهاية لابن الأثير: ١٣ .

٨- فهرس الألفاظ الاصطلاحية

- (١)
- البضائع اليمنية: ٤٨.
- البطبخ: ٣٠.
- البغار: ٢٠.
- بنديرة: ٤٣.
- البسط: ٤٤.
- بواير البحر: ٤٥.
- بيرق: ٤٣.
- (ث)
- التجار المجاورون بمكة المشرفة: ٣٢.
- التسويط: ٣٥.
- التمر الصفري: ٥٢.
- (ج)
- الجزارة: ٤٦.
- الجلادون: ٣٥.
- (ح)
- الحب: ٤٠.
- حجر أخضر فيه طلسم: ١٥.
- الحديد: ١٦.
- الحطب: ٤٠.
- (خ)
- الخازندار: ١٦.
- خراج جلة: ١٦.
- الابراج: ٣٦.
- أحوشة التجار: ٥١.
- إسكلة: ١٣، ١٨، ٤٨.
- الاطعمة: ٥١.
- أعملة من الساج: ٣١.
- الأكمشة: ٥١.
- اكتراء الحمير للركوب: ٣٢.
- الاكشاك: ٥٤.
- أمير مكة: ٥٣.
- أيام الموسم: ٥٢.
- (ب)
- البارود: ٢٨.
- باران: ٤٨.
- باش مكة: ٤٤.
- البز الهندى: ٣٢.
- بضائع سواكن: ٤٨.
- بضائع الصيد: ٤٨.
- بضائع مصر: ٤٨.
- بضائع مصوع: ٤٨.
- بضائع الهند: ٤٨.

- الخضار: ٤٤. شونة: ٤٦.
- الخضرية: ٤٦. شيخ زبيد: ٤٠.
- خطيب جدة: ١١. (ص)
- دقيق: ٣٩. الصلب: ٣٥.
- الدولة العلية: ٤٨. صهريج: ٤٨.
- دينار ذهب: ٢٩. (ع)
- اللراع: ٣٥. عامل جدة: ٣٣.
- فراع التجار: ٣٦. عامل مكة: ٣٣.
- الذهب: ١٦. (د)
- الرز: ٤٠. عليق: ٣٩.
- ريال فرانسة: ٢٩. (ق)
- سبح اليسر: ٥٢. قائم مقام جدة: ٤٦.
- السمك: ٥٢. قبيب الصالحين: ٤٢.
- سمن: ٣٩. قنصل الانكليز: ٤٣.
- شجرة سَمَرَة: ٢٤. (ر)
- شرب الدخان بجدة فى الأسواق: ٤١. فروش (سمك كبير): ٢٥.
- الشنق: ٣٥. (س)
- الشنكلة: ٣٥. كراء المنازل: ٣٢.
- محتسب جدة: ٤٤. كسوة الكعبة: ٣٣.
- محمل أهل مصر: ٤٥. كشك حوش الشرايى: ٥٤.
- المدافع: ٣٨. الكمرک: ٤٦.
- (م)

- | | |
|--------------------|-------------------------|
| (ن) | ملهب الوهايين: ٤١. |
| النحاس: ١٦. | المراكب: ٣٣. |
| (و) | مشخص حقيق: ٤٠. |
| والى جلة: ٤٤. | المكوس: ٣٤. |
| والى مكة: ١٦. | منارل الحاج المصرى: ١٧. |
| وكيل الكيانية: ٤٥. | الميفضة: ٤٥. |

٩- فهرس الأشعار

الفاية	الفائل	عدد الآيات	الصفحة
بالماء	-	١	٤٥
المثبات	الحضروى	١٠	٤٦
المعصرات	-	٢	٤٩
الاقتوات	الحضراوى	٦	٤٩
التضخما	-	١	٢٩
صدق	-	٣	٢٨
بالبعد	-	١	٤٠
ويصر	-	٤	٤٣
المتواتر	-	٣	٥٢
قسا	محمد الغزب	١٢	٥٦
نفسه	-	٢	٣٧
والضيق	-	٢	٤٩
العضبان	الحضراوى	٤	٥١
كمال	محمد القفطنجى	٧	٥١
لا تجهل	الشيخ العجلى	٤	٢٣
فانعم	-	٢	٥٣
دائى	محمد أنفلى الساعاى	٤	٥٣
قماريا	-	٣	٥١

١٠- فهرست المصادر والمراجع

- ١ - إحياء علوم الدين: الغزالي (محمد بن محمد أبو حامد ت ٥٠٥ هـ) طبعة دار الشعب، القاهرة.
- ٢ - أخبار مكة: الفاكهي (محمد بن إسحاق، من علماء القرن الثالث الهجري) مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٩٨٦م.
- ٣ - الأعلام: الزركلي (خير الدين) طبعة بيروت ١٩٦٩م.
- ٤ - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: النهر والي (محمد بن أحمد المكي ت ٩٨٨ هـ) لايزج ١٨٥٧م.
- ٥ - إهداء اللطائف من أخبار الطائف: العجمي (حسن بن علي ت ١١٣ هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م.
- ٦ - تاريخ الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ) دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
- ٧ - حسن القرى في أودية أم القرى: ابن فهد (جار الله محمد بن عبد العزيز ت ٩٥٤ هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ٨ - خريدة المعجائب وفريدة الغرائب: ابن الوردى (سراج الدين أبو جفص عمر ت ٨٦١ هـ) دار الشرق العربي، بيروت ١٩٩١م.
- ٩ - رحلة ابن جبیر (محمد بن أحمد الكنتاني ت ٦١٤ هـ) القاهرة ١٩٥٥م.
- ١٠ - رسالة في فضل جدة: ابن فهد (محمد بن عبد العزيز ت ٩٥٤ هـ) مجلة الخليج للدراسات العربية.
- ١١ - السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة: ابن فرج (عبد القادر بن أحمد ١٠١٠ هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٧م.
- ١٢ - سنن الترمذی (أبو عيسى محمد بن عيسى ت ٢٧٩ هـ) بيروت.
- ١٣ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢ هـ) بيروت ١٩٨٥م، وطبعة مكتبة النهضة الحديثة بمكة ١٩٩٩م.
- ١٤ - صحيح مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج التيسابوري ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الحديث، القاهرة ١٩٩٦م.

١٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: الفاسي (تقى الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) القاهرة ١٩٦٠م.

١٦- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: الشوكاني (محمد بن علي ت ١٢٥٠هـ) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٠م.

١٧- القاموس المحيط: الفيروزبادي (محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) القاهرة ١٣٣٠هـ.

١٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي (علاء الدين علي ت ٩٧٥هـ) طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

١٩- لسان الميزان: ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ) حيدر آباد، الهند ١٣٢٩هـ.

٢٠- مجمع الأمثال: الميقاتي (أحمد بن محمد النيسابوري ت ٥١٨هـ) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٥م.

٢١- المسالك والممالك: الأكرى (أبو عبيد: عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٧٨هـ) تونس ١٩٩٢م.

٢٢- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري لغاترتهتس، عمان، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٧٠م.

٢٣- ميزان الاعتدال: الذهبي (محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ) مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٤- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (المبارك بن محمد ت ٦٠٦هـ) مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٥- وفيات الأعيان: ابن خلكان (أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ) دار صادر بيروت ١٩٧٢م.

١٠- فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
مقدمة المؤلف في سبب إنشاء جلة وضبط أسمائها ومن أنشأها	١٣
الفصل الأول في فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة	١٩
الفصل الثاني في مآثرها وما احتوت عليه من سكانها	٢٧
الخاتمة في بعض حكايات لطيفة وغيرها، وقعت	
في عرصاتها وفي بناء سورها	٣٣
فهارس الكتاب:	٥٩
١- فهرس الآيات القرآنية	٦١
٢- فهرس الأحاديث النبوية	٦٣
٣- فهرس الأعلام	٦٥
٤- فهرس الأمم والطوائف والجماعات	٦٧
٥- فهرس البلدان والأمكنة	٦٩
٦- فهرس الأيام والغزوات	٧٣
٧- فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب	٧٥
٨- فهرس الألفاظ الاصطلاحية	٧٧
٩- فهرس الأشعار	٨١
١٠- فهرس مصادر التحقيق	٨٣
١١- فهرس المحتويات	٨٥

Bibliotheca Alexandrina



0352915

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الطاهر
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧